بسماتيك و .. بسماتيك

الناشـــر
مؤسسة حورس الدولية
للنشـر والتـوزيـع

١٤٤ ش طيبة – سبورتنج – الإسكندرية
ت . ف : ٥٩٧٢١٧١ – ٤٩٢١٢٨٤

الطبعـة الأولـى

تصميم الغلاف : طارق بندق

رقم الإيداع بدار الكتب :
٢٠٠٠/١٠٦٢٧

الترقيم الدولى I.S.B.N
977 - 5902 - 40 -1

مهدى بندق

بسماتيك و .. بسماتيك

مسرحية شعرية

صدر للشاعر

- سفينة نوح الضائعة ـ مسرحية ـ المجلس الأعلى للفنون والآداب ١٩٦٤
- الحلم الطروادي ـ مسرحية ـ دار لوران ١٩٦٦
- الدين والفن ـ نقد ـ دار النهضة العربية ١٩٦٨
- الملك لير ـ مسرحية ـ دار الوادي ١٩٧٨
- ريم على الدم ـ مسرحية ـ دار الوادي ١٩٨٠
- السلطانة هند ـ مسرحية ـ اتحاد الكتاب ١٩٨٥
- غيط العنب ـ مسرحية ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥
- ليلة زفاف إلكترا ـ مسرحية ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧
- امتحان بن حنبل ـ شعر ـ المركز القومي للفنون ١٩٨٧
- غيلان الدمشقي ـ مسرحية ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٠ *
- حصان على صهوة رجل ـ شعر ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤
- يا أورفيوس ـ شعر ـ المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٦
- مقتل هيباشا الجميلة ـ مسرحية ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٦
- هل أنت الملك تيتي ـ مسرحية ـ دار الصديقان ١٩٩٨
- آخر أيام أخناتون ـ مسرحية ـ مؤسسة حورس الدولية ١٩٩٨
- المسرح وتحولات العقل العربي ـ نقد ـ المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٨
- حتشبسوت بدرجة الصفر ـ مسرحية ـ مؤسسة حورس الدولية ١٩٩٩
- إضراب عن الماء ـ شعر ـ مؤسسة حورس الدولية للنشر ـ ٢٠٠٠
- بسماتيك و.. بسماتيك ـ مسرحية ـ مؤسسة حورس الدولية للنشر ـ ٢٠٠٠

---

* جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٣

الإهداء

إلى محمود أمين العالم
مفكراً وشاعراً وصديقاً

وإلى أصغر أحفادي
دينا

إشارة

للمرة الرابعة قدمت وزارة الثقافة المصرية
للمؤلف منحة تفرغ لمدة عام
لإنتاج هذه المسرحية
فإليها الشكر مجدداً

الشخصيات حسب الظهور

١ــ تينا	:	فلاحة شابة من سيوة
٢ــ تيتي	:	الملك تيتي مؤسس الأسرة السادسة
٣ــ بسماتيك الثالث	:	آخر ملوك الأسرة السادسة والعشرين ــ ٣٠ سنة
٤ــ صوفيا	:	جارية شقراء
٥ــ قمبيز	:	ملك الفرس ــ ٣٥ سنة
٦ــ روكسانا	:	شقيقته و زوجته
٧ــ كروسو	:	كبير مستشاريه
٨ــ سامر ديس	:	أخ غير شقيق لقمبيز ــ ٢٥ سنة
٩ــ تنور	:	كبير ضباط الفرس
١٠ــ عاصف	:	ضابط فارسي
١١ــ زرد	:	ضابط فارسي
١٢ــ حابي	:	عم بسماتيك الثالث
١٣ــ خوفو	:	الملك المصري المعروف
١٤ــ حتشبسوت	:	الملكة المصرية المعروفة
١٥ــ أخناتون	:	فرعون التوحيد
١٦ــ فادي	:	شاب من سيوة
١٧ــ راضي	:	شاب من سيوة

وضباط وجنود وأهالي

الفصل الأول

المشهد الأول

الوقت : **أصيل يوم من أيام شهر طوبة عام ٥٢٥ ق.م**

المنظر : **جانب من مخدع بسماتيك الثالث ، لا يوجد به إلا فراش ومنضدة عليها أطباق طعام.**
يدخل من النافذة الضيقة شعاع ضعيف من الضـــوء وتيـــار مـــن الهواء لا يزال يشتد حتى يصبح عاصفة في نهاية المشهد.
يرى رجل (تيتي) يتسلل ويدس ورقة تحت الوسادة بينما تراقبـــه فتاة سمراء تقف خلف الباب تحدث نفسها مندهشة

تينا : رجل في غرفة بسماتيك ؟!
من أين أتى والحراس يحيطون الدار كحبل بالمعصم ؟
أيكون إذاً لصاً محترفاً ؟!
أم هو جاسوس للشاه الغازي ؟!
فإذا كان كذلك
فلماذا يخفي ورقته تحت وسادة بسماتيك ؟
(وتندفع إلى الرجل صائحة) ماذا تفعل عندك يا عبد ؟

تيتي : **(ويده على فمها)** ش ش ش .

تينا : **(وهي تتخلص منه بعنف)** ارفع يدك القذرة عن وجهي

تيتي : لا أقصد شراً

أقسم بأبينا أوزوريس أنا لا أقصد شراً

تينا : مصري أنت ؟

تيتي : طبعاً

تينا : في هذى الحالة أفهمني كيف تسللت إلينا ؟

تيتي : بالطبع دخلت من الباب

تينا : تكذب يا عبد السوء

فلقد حُكم على بسماتيك البائس

وعلينا ــ نسوتِه التعساء ــ

أن نبقى في الداخل لا يخرج أحد منا

أو يأتينا أحد من خارج

تيتي : أرسلني كروسو مشير الفرس

كي آتيه بواحدة منكن

وها هو ذا تصريح دخولي

(ويريها الورقة فتتركها في يده متوجهة إلى الفراش)

تينا : يعنيني أكثر أن أعرف ماذا في الأخرى

تيتي : **(ممسكاً يدها بقوة)** اهتمي بشئونك

تينا : اتركني يا عبد وإلا مزقتك أشلاء

(وإذ يلوي يدها تعضه في ذراعه فيصرخ من الألم)

تيتي : يا لك من لبؤة !

تينا : وسأفقأ عينيك تباعاً إن لم تتركني

تيتي : **(وهو يتركها)** ما هذا العنف ؟

فتاة مثلك في سن الحلم الوردي وتأكل لحماً بشرياً ؟!

تينا : ما دخلك أنت بسني يا هذا العبد الملعون

تيتي : **(مغمغماً)** عبد ؟! كررت الكلمة هذى أكثر من مرة

أتراني صرت شبيهاً بالعبد خلال الأعوام الألفين المنصرمة ؟

تينا : **(مندهشة)** ماذا تعني بكلامك هذا ؟!

تيتي : لا أعني شيئاً

تينا : بل قلت خلال الأعوام الألفين المنصرمة

هل يعني هذا أنك كنت هنا في الزمن الماضي ؟!

(وحين يصمت هنيهة تقترب منه تتفحصه بقلق)

ما اسمك يا هذا ؟

تيتي : إسمي تيتي

تينا : **(وهي تفكر)** إسم ليس مشاعاً بين رجال الزمن الراهن

(ولنفسها) أيكون إذاً مبعوثاً مثلي ؟!

(وتتأمله أكثر) نحن تقابلنا من قبل . ولكن أين ؟

تيتي : **(وهو يتفحصها)** وجهك أيضاً ليس غريباً عني

تينا : **(تستحثه)** قل أين

تيتي : **(يستحثها)** قولي أنت

تينا : **(بتردد)** في الـ... مقبرة الـ... ؟!

تيتي : **(مكملاً)** السرية

تينا : أنت إذاً مثلي تتنكر في هيئة إنسان حي

تيتي : تلك أوامر أوزوريس

تينا : الآن تذكرتك. أنت الملك المنحاز إلى الفلاحين الفقراء
شاهدتك في وادي الأموات الأحياء
يتحاشاك الكل
كأنك سوف تطيح بسلطتهم حتى في الموت

تيتي : أما أنت فمن ؟

تينا : إني تينا
زوجة بسماتيك الأول ، جد الملك الحاليّ المخلوع
لكن .. هل جئت لترصد مثلي أحداث الحاضر ؟

تيتي : و بتعليمات صارمة ألا أتدخل
لكني...

تينا : **(مقاطعة)** أعرف ... لا تملك أن تقف من الأحداث بلا موقف

تيتي : هذا طبعي

تينا : و لهذا أنت كتبت لبسماتيك المهزوم خطاب استنهاض ثوري !
هل تعرف أين يكون الآن ؟

تيتي : قالت جاريةٌ .. ينتظر غروب الشمس بسطح الدار
كعادته كل أصيل

تينا : يحاول أن يكتب شعراً
ليعوضه بعض الشيء عن المُلْك الضائع
لكن .. هل ينقاد الشعر لمهزوم مستسلم ؟!
هل تتصور هذا ؟!

تيتي : إني لا أفهم في الشعر

تينا : لا تحتاج إلى الفهم لتدرك معنى الشعر
بل تحتاج إلى أن تشعر
فإذا هجم عليك القبح فتاقت نفسك لجمال فياض
فأنت إذاً تقطن في بيت الشعر
و إذا هجم عليك عدو يبغي استعبادك
و انتفضت نفسك بهجوم ضديّ يحمل رايات الحرية و العزة
فأنت إذاً شاعر
و إذا أنت طلبت العدل فأنت إذاً شاعر
فانظر أي الناس إذاً أنت ؟

تيتي : (بنفس أسلوبها في القول) شاعر

تينا : أما صاحبنا فلقد خلد إلى اللذات الحسية
حتى فوجئ بجيوش الفرس فلم يحتمل الصدمة
و الآن أراه ــ الخائرَ ــ يرضى بسلام أشرف منه الموت
كيف تكون حياة المرء طعاماً و شراباً و نعاساً لا أكثر ؟!
إلا أن يتحول كلباً أو دودة

تيتي : لا أختلف و إياك على هذا التحليل

تينا : فلماذا تتصور أن رسالتك المخبوءة هذي
سوف تحرك فيه النخوة ؟!

تيتي : (مغمغماً) و لماذا لا ؟

تينا : لأنك سوف تكون بهذا ضد المنطق

فلقد أمضى صاحبنا شهراً ــ منذ هزيمته ــ في هذى الدار
ينام ويصحو و يضاجع نسوته أحياناً .
مع أن الحر ــ و هذا رأيي ــ لا يقبل بالإذلال و لو ساعة

تيتي : (**مغمغماً**) ذلك رأيي أيضاً

تينا : فيم إذاً دَسُّكَ لخطابك تحت وسادته ؟!
و الأمل كما تبصره صفر في صفر ؟!

تيتي : (**مكابراً**) حتى الصفر يجوز له أن يفعل فعلاً
لو ضمته معادلةٌ مختلفة

تينا : بالنسبة لي فأنا أنهيت المأمورية
ولسوف أطير الليلة للوادي
لأقدم تقريري لأبينا أوزوريس
تقريراً من لفظين وحيدين
لا جدوى

تيتي : و لماذا لا تنتظرين إلى الغد ؟!
ثمة قافلة مقصدها سيوة
وبديلاً عن طيران الأشباح
عودي في القافلة كإنسان عاديّ
فلعلك تلتقطين بها الأحداث الاستثنائية

تينا : (**باحتقار**) و ماذا عند الأحياء بهذا الزمن المنحط
سوى التافه و المكرور (**يدخل بسماتيك**)

بسماتيك : (**لتيتي**) من أنت ؟

تيتي : مبعوث من قصر الشاه

بسماتيك : و ماذا تطلب ؟

تيتي : **(و هو يريه الورقة)** امرأة من عندك
كي ترقص في حفل الضباط الليلة

بسماتيك : **(بلا مبالاة)** خذ هذى الجارية الواقفة بلا داع في غرفة نومي

تيتي : **(و هو يجذب الفتاة خارجاً بها)** هيا يا عبدة !

(و إذ يخرجان يرتمي بسماتيك على الفراش صامتاً ، و بينما يعدل من وضع الوسادة تسقط الورقة على الأرض فتحملها الريح المشتدة إلى ما تحت الفراش دون أن يلاحظها بسماتيك الذي يهب واقفاً فجأة منشداً)

بسماتيك : الشواديف لم تعد تبكي على كتفي كعادتها
كان مرتزق يمشي على جفوني
مزهواً بخيانته يأكل ذراعي
و يركلني في ظهري
و في الصباح تضحك السماء البدينة
و تعري نهديها المستطيلين
لثعبان الليل الأعرج
و على فخذي تموء النار و ترقد منكسرة القلبِ
و في الظهيرة
ينبت الشَعْرُ في فمي كثيفاً كثيفاً
ليصبح غابة لأمراء الصمت

و للقطط مبتورة الذيول
لكنني غداً سوف أعود إليكِ
يا حبيبتي براية مبللة بالدموع
على صهوة النملة الشاحبة
(ويتوقف مغيراً لهجته إلى التساؤل)
هل هذا شعر أم هذيان فؤاد محموم ؟
طبعاً .. هذا ليس بشعر إطلاقاً
و إلا فلماذا يخرج كلمات ليست موزونة
و لماذا يدّحرج مثل صخور الجبل بغير نظام ؟!
و لماذا يرتبك المعنى حين تصافحه الألفاظ
و يلف الصورَ غموضٌ يضرب في ظلمات التكوين ؟!
(تدخل صوفيا – امرأة شقراء ذات جمال طاغ فتتوجه من فورها إلى النافذة تغلقها)

صوفيا : تقف أمام الريح كأنك تطلب مرضاً للصدر ؟
بسماتيك : مرض أو موت لا مانع عندي يا صوفيا
صوفيا : عدنا للكلمات الجوفاء
مع أنك وافقت على أن نبدأ رحلتنا في الغد
بسماتيك : (هازئاً) رحلتنا ؟! تعنين الرحلة للمجهول !
صوفيا : و ماذا في ذلك
كل المخلوقات تجيء من المجهول و تذهب للمجهول
بسماتيك : لكن الإنسان يقيم المعنى فيما بين المجهولين

صوفيا : ذاك هو الوهمُ
وأحرى بالعاقل أن يتخلص منه سريعاً
فتصور أنك لم تهزم في حرب الفرس
و أنك أمضيت حياتك فرعوناً يركع في حضرته المحكومون
و أنك عشت إلى سن التسعين
أفلا تحسب أنك مثلك مثل المحكوم ملاقٍ حتفك ؟
في هذى اللحظة بالذات
لحظة أن تستسلم بكيانك للموت
سترى أن السلطة كانت ريحاً خادعةً
إذ تتسرب من بين أصابعك المتشنجة المحتضرة
(**و بنعومة**) أما الآن فأنت تخلصت من الريح بسن شبابك
فيا لك من رجل محظوظ !

بسماتيك : (**بدهشة**) محظوظ ؟!

صوفيا : (**بتأكيد قوي**) مثلي بالضبط

بسماتيك : مثلك كيف ؟

صوفيا : (**و هي تتمشى في الغرفة مرددة كأنها تحادث نفسها**)
يوم خُطِفْت و ألقى بي في سوق الرق
في هذا اليوم المبروك
أتاني النخاس و عرّاني من كل ثيابي
و اعتصر الثديين بكفيه إلى أن ..
صحتُ كأنثى أسدٍ وقعتْ في شَرَكٍ مرعب

ثم تحسس بطني الضامرة و ردفيَّ المكتنزين
و تسللت الإصبع منه إلى ما بين الفخذين
كي يتأكد أني لم أُختن
و حين تأكد راح ينادي معتزاً ببضاعته
(و تحول لهجتها إلى الإنشاد تقليداً للنخاس)

سُلافةٌ ، كأسُها من ثغرها الألقِ
فانهلْ على غُلةٍ و اسكرْ و لا تفقِ
و اعضضْ على نهدها كالذئب مرتجفاً
و اشدد على خصرها كالأرقمِ الأرقِ
و اهبط على سُرَّةٍ ريَّانةٍ بفمٍ
واطرقْ على دغلِها بالبرقِ ينفلقِ
تقرئك في غُنجها بالحلْقِ لاهثةً
ذي جَنَّةٌ حُرِّمتْ إلا على الشَّبِقِ

بسماتيك : **(مشدوهاً)** هذا شعر رغم سفالته الأخلاقية

صوفيا : **(صائحة)** دعنا من تهويمات الشعر و من تصنيفات الأخلاق
نحن المهزومين علينا أن نتجرع كأس الذل بلا تعليق
ثم نعض عليها حتى تمتلئ الأشداق بدمنا
و شظاياها المكسورة بين الأسنان
(وتعود إلى الهمس) في لحظة بيعي في سوق الرق

أدركت أنا وضعي بالضبط
محض بضاعة
و أداة تستخدم في إنتاج اللذة للغير
قلت : أنا شيء ليس له أن يعترض على شيء
قلت : أنا محكوم محروم من أدنى درجات السلطة
قلت : أنا إهدار يسقط في أعمق أعماق الضعف
عندئذ أدركت ــ و يا للإدراك إذا جاءك في سن صباك ــ
(**وبفحيح**) أني لا أملك إلا هذا الضعف
فهو الدرع السابغة على صدري
تحميني من أوهام القيم الأخلاقية
أوَ لستُ مثالاً للضعف ؟!
لا بأس عليَّ إذاً لو أفعل ما لا يفعله الشرفاء
أوَ لست مثالاً للضعف ؟!
فلأتصرف كيف أشاء بلا رادع
أكذب أتلون أختان و أغتال إذا شئت بلا تأنيب ضمير
و هل للضعف المطلق في هذا العدم ضمير ؟!
في هذا الضعف المطلق أدركت أنا كم صرت قوية
(**و ملتفتة إليه**) و كذلك أنت ستدرك هذا في الغد

بسماتي : (**مرتعداً**) أي دمار حاق بروحك يا صوفيا ؟!

صوفيا : (**صائحة**) أي دمار بعد وقوعك في الأسر ؟!

منذ قليل طلبوا منك امرأةً لتسليهم بالرقص فوافقت
لم تقدر أن تحمي من كانت تعتصم بدارك
بل لو كان لديهم رجل لوطيٌّ وأرادوك تُلذذه
لرقدتَ على وجهك حتى يجثم ذاك اللوطيُّ عليك
فانس إذاً أنك إنسان
و انس الحق و لا تتعلق بالواجب
و افهم أنك مثل الحيوانات أو الطير أو الأسماك
و اهرب من صياديك نجيًا بالشيء الباقي لكيانك
جسدك يا بسماتيك

بسماتيك : (**مغمغماً**) فإلى أين ؟!

صوفيا : إلى صحراءَ نفتش فيها عن صخرٍ جلمود
يتفجر منه الماء فنشرب
نصطاد بها الغزلان و أسراب البط البريّ فنطعم
و ننام بكهف فيها كالأموات عرايا
ننهل من لذات الجسدين
شريطة ألا ننجب أطفالاً يحتاجون إلينا
فعبوديتنا تبدأ بالأسرة
دعنا نغدو أحراراً مثل شعاع الشمس العاقر
و مثل الظلمة في الليل المستوحش
و مثل البرق المنفلت من الظلمات بلا هدف أو غاية
و مثل هجوم الريح على نافذتك هذى

(و كانت العاصفة قد دفعت النافذة بقوة فانفتحت)

فلنهرب مثل الريح من الريح

ولنتعانق كهباء يدخل في تجويف هباء

(و تجذبه إليها تعانقه بعنف)

إظلام

المشهد الثاني

الوقت : نفس الليلة

المنظر : قاعدة العرش بالقصر الملكي بهمذان

مقعدان كبيران في الصدارة يجلس على أحدهما الشاه قمبيز
وثمة مقاعد أصغر متناثرة هنا وهناك
في أقصى اليمين توجد منضدة كبيرة عليها أكوام من الحلـــوى و
أهرامات من البرتقال و الموز و التفاح ، بجوارها منضدة في نفس
حجمها عليها قنينات خمر و كؤوس تلمع بريقاً.
ثم كتلة حجرية ضخمة منحوت عليها خريطة مجسدة تمثل الهند و
فارس و العراق ، و أمام الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط
نماذج خشبية صغيرة لسفن حربية.
المكان مضاء بعشرات الشمعدانات معلقة على الحوائط ،
يرى الشاه قمبيز واقفاً يفرك كفيه حيناً و ينفخ فيهما حيناً مرتدياً
سروالاً صوفياً و سترة من جلد فهد
لحظات و تدخل روكسانا

قمبيز : (عابساً) روكسانا !! لماذا جئت ؟ إني لا أسمح لك

روكسانا : (تتوجه إلى مقعدها تجلس عليه وهي تقول)

٢٣

تعلم إني لا أحتاج إلى إذن يا قمبيز

قمبيز : ذلك مجلس ترويح و شراب لرجالي الخلصاء

فبأية صفة تتضمين إلينا ؟

روكسانا : بصفتي زوجاً لك و شقيقة

قمبيز : قولي هذا في غرفة نومك

روكسانا : لن تدخلها حتى تعترف بأني ...

قمبيز : **(مقاطعاً بإشارة تحذير)** لسفينتنا منذ خرجنا من "فارس" ربان واحد

روكسانا : و نسيت وصية والدنا قورش ؟!

قمبيز : **(مندفعاً إليها)** و نسيت جريمتك الشنعاء بحقي ؟!

روكسانا : **(دون خوف)** فكر في نفسك و ازجرها قبلا

قمبيز : **(عائداً إلى مكانه)** إني لم أخطئ قط

روكسانا : أو لم تقتل ذاك الشاب المسكين بغير جريرة ؟!

قمبيز : **(مصدراً صوتاً بأنفه)** بغير جريرة ؟!

روكسانا : **(تنهض متجهة إليه)** ما زلت تصر على أني زانية يا قمبيز ؟!

فلماذا لم تقتلني في ساعتها أيضاً ؟

قمبيز : لأني أتمسك بتعاليم ديانتنا السمحاء

و أراعي فيك الرحم الواحد ألا يتمزق

روكسانا : بل تخشى أن تتمزق هيبتك أمام الشعب

قمبيز : و لماذا لا ؟

هيبتنا عامود من أعمدة الأمن الإمبراطوري

و لهذا لم أفضحك و أفضح نفسي

و لهذا أيضاً .. رغم التلميحات المتناثرة هنا وهناك
اخترتك دون الزوجات جميعاً
لمصاحبتي في حملة مصر

روكسانا : أعرف هذا
و أحيي فيك رياءك

قمبيز : سوف أعلمك الليلة
كيف يكون خطاب التابع للمتبوع

روكسانا : (**هازئة**) أنت تعلمني ؟!
يا قمبيز أنا أكبرك بخمسة أعوام
و لقد ربيتك مذ كنت رضيعاً في المهد
فأنا ــ تفهمني ؟! ــ أعرف كل مخازيك الصغرى و الكبرى
في الماضي كنت حقيراً منكشفاً
مع هذا كنت أدللك و أرعاك
فيم إذاً وضعك للأقنعة و قد هجم الشيب على فوديك ؟
(**وصائحة فجأة**) لماذا أرسلت لتأتي بأخينا سامر ؟

قمبيز : غضي من صوتك يا عاهرة الأسرة

روكسانا : أنت تزوجت ثماني عشرة أنثى
مع هذا تبدو في نظر رعاياك الأغنام شريفاً محترماً
و أُعَدُّ أنا عاهرةً لمجرد أني ...
قابلتُ غلاماً لدقائق معدودات ؟!

قمبيز : (**مشدوهاً**) تعترفين بأنك ضاجعت الوغد إذاً ؟!

روكسانا : لا أعترف و لا أنكر

فاسأل نفسك حتى تتناثر شكاً و جنوناً

قمبيز : ذلك ما تبغين

أن يشغلني أمرك عن كل أموري الأخرى

لكن لا .. منذ اللحظة لن أتفوه معك بكلمة

روكسانا : **(عائدة إلى مقعدها)** مع هذا ..

سوف تراني ليل نهار

جالسة بجوارك

أحلل أقوالك

و أراقب أفعالك

فأنا أيضاً أسعى كي أكشف سرك يا [illegible] زوجي

قمبيز : **(صائحاً)** أدخل أضيافي يا حاجب

و ليبدأ حفل الليلة في التو

في عمق المسرح تظهر ثلاث راقصات [illegible]

سمراء داكنة ــ يتأودن على إيقاع [illegible]

في نفس الوقت يدخل المشير كروسوس [illegible]

من قواده [illegible]

كروسوس : التعظيم الكامل للعائلة الملكية

قمبيز : (و هو يجلس على مقعده) أهلاً بمشير [illegible] كروسوس [illegible]

[illegible] أين ضيوفي الضباط ؟

كروسو : ها هم أولاء يجيئون ورائي

(فيدخل عشرة رجال يرتدون سترات النمور رافعين أيديهم بالتحية العسكرية)

الضابط : الجيش يحيي الشاه كبير العالم

قمبيز : **(بمرح) معركة الليلة يا ضباطي**

تتلخص في .. نسف جبال الحلوى

و إراقة دم كؤوس الخمر الواقفة هناك

فهيا و أروني كيف تكون الهجمة في الميدان

(فيندفع الرجال إلى مهمتهم صاخبين ضاحكين

و أثناء ذلك يدخل سامر على استحياء مرتدياً ثوباً من الكتان فيتخذ مكاناً في أقصى اليسار

إلا أن روكسانا تشير إليه و تنفخ له قبلة بشفتيها)

زرد : (**هامساً لتنور**) ماذا تفعل روكسانا في مجلسنا هذا ؟

تنور : (**هامسا مثله**) شأن لا يعنينا يا زرد المتطفل

زرد : انظر .. هي جالسة تأكلنا بعيون الأفعى

تنور : لا تلق لها بالاً

ولنتحرك نحن على راحتنا

قمبيز : (**مداعباً**) هيا و اهجم معهم يا سامر

(لكن الشاب يرفع يده معتذراً بحياء)

تنور : لماذا لا نحمل سامر هذا و نكوره معنا في بحر الخمر ؟

عاصف : **(مشيراً إلى الخارطة و هو يشرب)**

الأولى أن نحمل جنداً في هذا البحر إلى قرطاجة

قمبيز : عندك حق

لكن كيف نمول هذى الحملة يا سيد ؟

عاصف : خزانة دولتنا ...

قمبيز : (**مقاطعاً بأسى**) خاويةٌ يا عاصف

أو لم تشرح لرجالي الأوضاع الماليةَ يا كروسو ؟

كروسو : قلت لهم إنّا لسنا تجاراً

بل فلاحين و جنداً فـــ ...

قمبيز : (**مكملاً**) ... دعونا نحلم بكنوز من ذهب ولآلئ

(**و ناظراً إلى روكسانا**) فإذا صار الحلم حقيقة

أمكننا أن نستأجر أسطول الإغريق

عاصف : (**محتجاً**) الفينيقيون لديهم أسطول ضخم

فلماذا لا نأمرهم أن يضعوا ذاك الأسطول بأيدينا ؟

أو لسنا نحكمهم ؟

قمبيز : (**بتهكم خفيف**) نحكمهم ؟! فعلاً نحكمهم لكن بشروط

(**وملتفتاً لكروسو**) هل ألثم يدك لتشرح للضباط سياستنا يا كروسو

كروسو : فعلت وحق أبيك الراحل مرات عدة

(**و لعاصف**) كم حدثتك عن تلك القاعدة الذهبية ؟

عاصف : أي قاعدة تعني ؟

كروسو : (**نافخاً بضيق**) آفتك النسيان فيلزمك طبيب

يعرف كيف يعالج هذا المرض الغامض

حسناً .. سأعيد عليك القول أمام الشاه
(وبتحذير) لآخر مرة
(ويتمشى أمامه شارحاً بأستاذية)
للقوة ــ أيّاً كانت ــ يا جنرال حدود
يمكن للضابط أن يأمر كيف يشاء
لكن حين يكون التنفيذ محالاً
ينقلب الحال إلى الضد
مثلاً .. نحن جميعاً نعرف أن الفينيق
أقارب لأهالي قرطاجنة
هم تقريباً أبناء عمومة
كيف إذاً سيخونون أرومتهم من أجلك ؟
الأرجح أن ينقلبوا ضدك
ساعة أن يتلقوا أمرك هذا الخاطئ

قمبيز : **(لعاصف)** أفهمت الآن ؟

كروسو : **(يتنحنح و قد انفتحت شهيته للكلام)**
أما الإغريق فبحارتهم و فيالقهم مرتزقة ...

تنور : **(مقاطعاً و كأسه مرفوعة)**
قد نختلف سوياً لكنا متفقون على السُكْر الليلة
أليس كذلك يا شاه ؟

قمبيز : **(مبتسماً بأبوة)** للخمر فوائد لا يجهلها إلا الأحمق

تنور : **(و هو يندفع إلى سامر حاملاً كأساً وصائحاً به)** أسمعت ؟

خذ و اشرب نخب النصر على بسماتيك الفرعون المصريّ

ماذا ؟! أترد يدي يا طفلاً يتبول في النوم ؟!

تفعل هذا بمجوسيّ يحمل في جيش بلادك أعلى رتبة ؟!

أقسم بإله الظلمة و إله النور

لولا حبي للشاه أخيك الأكبر .. و كبير العالم

لرميتك بين الجند الخشنين لتنسى حتى اسمك

فيم تفكر يا صاح ؟!

سامر : **(بهدوء)** في من يرقصن بغير ثياب

تنور : **(صائحاً بطرب)** أهلاً !

يبدو أن فتانا بدأ الآن المرحلة الذكرية

(و لاكماً إياه في صدره) كدت أصدق أنك غير طبيعيّ

و لماذا خطرت في بالي تلك الفكرة ؟

لأنك جاوزت العشرين بسنوات دون زواج أو عشق

هيا و الق نفسك في بحر الراقصة الأبنوسية هذى

و تشبث بالنهدين ملياً قبل الغوص

زرد : **(لتنور ضاحكاً)** هل تدري يا مولانا ماذا قال لنا سامر منذ قليل

قمبير : ماذا ؟

زرد : سأل الضباط الشبان المجتمعين على مائدة عشاء الليلة

(ويقلده) استمتعتم بمذاق السمك النيليّ ؟

فأجاب البعض .. نعم ، بالطبع

و هنا سأل السيد هذا زملائي فجأة

و تظنون السمك استمتع ؟

(فينفجر الضباط ضاحكين)

ضابط : ذلك ما قال لنا بالفعل

آخر : فتصور يا مولانا !

ثالث : كان سؤالاً دفع البرد كمسمار في عظمي

رابع : في الحق أنا فكرت طويلاً فيما قال الأخ

و أخيراً أقسمت بأمي ألا آكل سمكاً بعد اليوم

خامس : و أنا أقسمت بألا آكل شيئاً حتى يطويني القبر

(و لكن تنور يقاطع الضحكات المرحة صائحاً)

تنور : و أنا أقسم أن السيد هذا يستهدف تسميم عقول الضباط

قمبيز : **(بضحكة قوية)** لا لا يا تنور

يقيناً لم تفهم بعدُ أخي هذا ابنَ السيدةِ العربية

و أظنك لن تفهمه أبداً

سامر هذا شـــ ...... اعر

و الشاعر شخص لا يعني شيئاً بكلامٍ يلقيه

تنور : **(مندهشاً)** لا يعني شيئاً بكلام يلقيه ؟!

فيم إذن أرسلت إليه ليأتينا من شاطئ دجلة ؟!

قمبيز : **(يتجرع خمره و يتجشأ بقوة)** سيجيبك عني كروسو

كروسو : (يتقدم ممسكاً بكأسه متحدثاً بحكمة) يا سادة

زرد : أصيخوا لكبير الحكماء

كروسو : (يتنحنح) يا سادة

دعوني أبدأ بالتأسيس لمعنى الدولة

ما الدولة ؟!

هل هى عرش و ملوك و جيوش و دواوينُ فحسب ؟

لا .. الدولة أكبر من هذا بكثير

الدولة تنظيم يتحوط كل الناس و كل الحيوانات

و حتى الطير الهائم في الأجواء

ليس الشرطيُّ فحسب ضرورياً للدولة

بل و اللص كذلك

فيم الحاجة للقاضي لولا الإجرام المتأصلُ في تكوين العامة ؟

بل فيم الحاجة للحاكم لولا سفه المحكوم ؟!

و لولا سفه المحكوم لذاب الحاكم

و لهذا ..

لا تكتمل الدولة إلا حين توظف كل عناصر هذا الكون لخدمتها

تنور : لست أرى ما يربط بين كلامك هذا و كلام النطع المدعو سامر

كروسو : دعني أشرح لك

للدولة رأس هو مولانا الشاه .. صح ؟!

(فيضع تنور قطعة حلوى كبيرة في فمه و يقول)

تنور : صح

كروسو : و ذراع يتمثل في قواد الجيش .. صح ؟

تنور : صح جداً

كروسو : **(و بتواضع)** و لها أيضاً عقل يتمثل في أمثالي الحكماء الساسة

تنور : لا نختلف على هذا

كروسو : لكن الدولة ذات الهيبة و الحكمة و الجبروت

أحياناً تحتاج إلى بعض اللغو

فمن أين يجيء اللغو ؟

زرد : **(متحيراً)** فعلاً .. من أين ؟ قل يا عاصف

عاصف : **(بعبوس)** لست أفكر إلا في قرطاجة

تنور : **(بعد تفكير)** اللغو يجيء بلا شك من أفواه الشعراء

كروسو : أحسنت

تنور : **(إلى سامر باستهزاء)**

هذا يعني أنك سوف تكون مهرجنا الرسمي

كروسو : لا يا تنور

ليس اللغو حصاناً يتبع فَرَس التهريج الحافر فوق الحافر

فكثيراً ما يبدو اللغوُ نظاماً معقولاً للأقوال

لا يصلح للتطبيق ، أنا معكم ، و الناس جميعاً تعرف هذا

لكنْ توظيف الشاعر في خدمة أغراض الدولة أمر عمليّ

حيث يسجل في كلمات متألقة أعمال الحاكم

و يشيد بما يفعله القادة في الحرب

و يؤكد للعالم أنّا حققنا المثل العليا

و بهذا ينغلق التاريخ

و نُخلَّدُ نحن الفرس طوال الدهر

قمبيز : **(مشيراً باصبعه إلى سامر)** و تلك وظيفتك المختارة .. هل تقبلها ؟

سامر : **(بعد صمت)** تسمح أن أسألك سؤالاً يا شاه ؟

قمبيز : سل ما شئت

سامر : ليلتنا هذه باردة .. أو ليس كذلك ؟

قمبيز : باردة جداً

سامر : و لهذا لبس الضباط جلود الحيوانات لأجل الدفء ؟

قمبيز : طبعاً

سامر : في نفس الوقت نرى هاتيك النسوة يرقصن عرايا

قمبيز : و ماذا في ذلك ؟

سامر : فيه التاريخ انبعج ، فكيف سيصبح دائرة مكتملة ؟

تنور : **(ضارباً كفاً بكف)** ما دخل التاريخ بلبس جلود الحيوانات

أو خلع ثياب النسوة ؟!

قمبيز : **(بعد تفكير)** أنت على حق يا سامر

و رجوع المرء إلى الحق فضيلة

(و يفرقع باصبعيه فتتوقف الموسيقى و تنسحب الراقصات بينما تطلق روكسانا ضحكة خفيفة و لكن ماجنة فيهمس زرد لتنور)

زرد : ضحكة روكسانا ضربت شيئاً أسفل بطني

تنور : **(هامساً بحذر)** اخرس يا زرد و لا تفتح أبواب جهنم

قمبيز : **(و هو ينهض)** محتمل يا سامر أنَّا نخطئ أحيانا

لكنا لسنا حيوانات ٍ مفترسة
أو همجاً أشراراً سفاحين
و لعل شراستنا في الحرب تشي للنظر السطحيِّ بذلك
لكن لا .. نحن نحارب من أجل السلم الدائم
و لكي نرسي للعدل دعائمَ أقوى
(و منادياً) كروسو

كروسو : مولايَ
قمبيز : ماذا نحن فعلنا بالقاضي الظالم في فارس ؟
كروسو : أمرتم أن يُسلخ حياً
و بهذا الجلد الحي يُنَجِّد مقعدُه
حتى لا ينسى تلك الفعلة من يتولى نفس المنصب
قمبيز : أترى تذكر من وليناه المنصب ؟
كروسو : فتاه البكر
روكسانا : **(صائحة من مقعدها)** أسلوب فظ يكشف عن نفسية جزار
(فتسري همهمات مندهشة بين الضباط الذين ينقلــون النظــرات بينها و بين الشاه ، و الأخير بما وعدها من تجاهل يقول لســـامر هادئاً)
قمبيز : أتريد العدل أم الرقة ؟
روكسانا : بل هو يسأل ماذا يُطلب منه على وجه التحديد ؟
قمبيز : **(لسامر)** أن تعلن في أشعار باهرة تحفظها و ترددها الأجيال
أن الفُرْس هم الأعظم

و تؤكد أنهم خير الأمم على الإطلاق

تنور : (**يصفق باعجاب**) هذا الرد خليق بكبير العالم

(**ومشيراً إلى زملائه صائحاً**) تصفيق حاد

(**فيصفق الجميع عدا سامر.و تنور يلاحظ ذلك فيهدر قائلاً**)

تنور : أم أنك ترجو شيئاً آخر يا هذا ؟

سامر : (**ببساطة**) إني لا أرجو إلا ما يطلبه الإنسان العاديّ

روكسانا : (**مصفقة باعجاب**) هذا الرد خليق بأخي الصغر

الشهم المتواضع ذي العفة

قمبيز : و أنا أيضاً لا أخفي إعجابي بالرد

طبعاً .. فالإنسان العادي أساس الأمة

و لأن الشاعر يتكلم أحياناً باسم الأمة

فأنا أدعو شاعرنا ليفصّل ما أوجز

قل يا سامر و كأنك هذا الإنسان العادي

ماذا تطلب ؟

سامر : قطعة أرض أزرعها أو حانوتاً أتكسب منه

و بضائع لا يتحكم فيها التجار الجشعون

و امرأة تنتظر قدومي في شوق حين أعود

و جيراناً يحترمون خصوصية داري

و رجال قضاء لا يتدخل أحد منهم في أفكاري

و نظاماً يضمن ألا أُقمع

لو أنتقدُ الحاكم حين يجور

و جيشاً يدفع عن وطني العدوان

و لا يندفع بعدوان ضد الغير

تنور : هذا الرجل يفكر في قلب نظام الحكم

(فيتصـــايح الضباط مهددين . إلا أن روكسانا تندفع إليهم كأنـــــها النمرة)

روكسانا : لن يجرؤ أحد منكم أن يلمس فيه و لو شعرة

فدماء العاهل قورش تجري في كل خلاياه

و إذا فكرتم في أن تأذوه

فأنا سأهيج ضدكمو أخوال الشاب الأعراب

. و الخالات العربيات

و هن صديقات لنساء الفرس حميمات

و خصوصاً نسوتكم يا ضباط الجيش

(فيتوقف الضباط عن تتذامرهم واجمين ، عندئذ تعود روكســـــانا إلى مقعدها قائلة لقمبيز)

أما أنت فلي معك حساب آخر

(يشير كروسو إلى الضباط فيسرعون بالتجمع حوله حيث يقـــول لهم بصوت خفيض)

كروسو : من رأيي أن ندع الشاه و أخويه يحلون مشاكلهم في ... الدائرة الأسرية

(فيوافق الجميع و يبدأون في الانصراف و هـــم يحيـــون الشـــاه بأذرعتهم)

عاصف : **(و هو يخرج)** كل مشاكلنا سوف تحل إذا بدأتْ حملةُ قرطاجة

زرد : **(خلفه)** أرأيتم كيف تدلل روكسانا ابن أبيها ؟

فبماذا تأمرنا لو صارت ملكة ؟

تنور : **(منصرفاً في غضب)** أن نلعق ما بين أصابع قدميه

(و يكون كروسو آخر من يخرج ، عندئـــذ يلتفــت قمبــيز إلـــى روكسانا في غضب مكبوت)

قمبيز : راضية أنت لأنك أفسدت عليَّ الحفل ؟!

روكسانا : أتكلمني ؟!

أتكلمني وقت تشاء و تصمت عني وقت تشاء ؟!

الآن أتى دوري لأريك الإهمال الأصليّ

سامر : **(متحرجاً)** أطلب إذنكما فأنا أشعر ...

روكسانا : لا .. لا تذهب قبل سماعي

(و تتوجه بدورها إلى مائدة الحلوى فتعد له طبقاً تقدمه له قائلـــة بأمومة)

لاحظتُ الليلة أنك لم تأكل أو تشرب

ضع هذي الحلوى في فمك المغلق

و افتح لي أذنيك

أنت سألت الضباط سؤالاً

" هل شعر السمك النيليُّ ـــ بما شعروا ـــ

حين التهموه على أطباق الأرز ؟ "

و أنا سأجيبك بالنفي القاطع

ذاك لأن السمك بلا أغوار
أو أسرار أو تعقيدات
السمك هو السمك فحسب
لكن ضع انساناً فوق النار ليُشوى مثل السمكة

سامر : (**مقاطعاً بانزعاج**) يُشوى مثل السمكةِ كيف ؟!
لا أفهم قصدك

روكسانا : (**و هي تصب لنفسها كأساً**) فيما بعد ستفهم
حينئذ سوف ترى أن الإنسان كيان ...
(**و ناظرة لقمبيز مكملة**) مجنون منقوع في المتعة
يشبع فيحس المتعة
و يجوع فيشعر بالألم القارس
و الألم القارس متعة
(و ترتشف الخمر ببطء بينما تتكلم)
و لهذا يلجأ أقوام للصوم شهوراً
طلباً للألم و للمتعة
(**و برشفة أخرى**) أنظر للجلاد يعذب شخصاً
تجد المتعة تسري كالخمرة هذي
من جبهته حتى قدميه
و ضحية هذا الجلاد بماذا تشعر ؟
بالـــ ...
(ومكملة بعد أن تكون قد قذفت بباقي محتويات الكأس في حلقها)

متعة أيضاً

(ثم بلهجة جادة) فاحذر يا ولدي أن تثق بهذي الخمر

أو تثق بهذا الطبع البشريّ الفاسد

قمبيز : ذلك قول الأنثى تشعر بالنقص الخَلْقيّ

أعني لغياب السهم القادر أن ينطلق و يغزو

أما الذكر المكتمل الأعضاء

فيكرس كل مواهبه لبلوغ القوة و العظمة و المجد

روكسانا : **(تواجهه بشراسة)** ذلك قول الذئب لإغواء الأغنام

قمبيز : **(مبتسماً بوداعة)** هل هذا رأي أخينا الصغر ؟

سامر : **(متحيراً)** كيف لمثلي أن يحكم بينكما ؟

روكسانا : احكم و كأنك أنت أبونا قورش

قمبيز : احكم فأنا عينتك منذ الآن ضميراً للدولة

سامر : **(بعد تفكير)** معذرة يا أختاه

محتمل أنك أقدر مني عشرات المرات

لكني أحسب أن الشاه على حق في طلب المجد

قمبيز : **(منتصراً)** بورك فيك

و لعلك تخدم أغراض الأمة في منصبك الأسمى

سامر : أرهقني السفر فهل أستأذن ؟

قمبيز : **(و هو يربت على كتفه)** طبعاً طبعاً

في امكانك أن تخلد للنوم قرير العين

و لسوف أراك غداً ، أسعدت مساء **(يخرج سامر)**

روكسانا : فزت بعقل الساذج هذا ابن أبينا
فهنيئاً لك بالألعاب التافهة الخالية من المعنى

قمبيز : إني لا ألعب لكن أتدرب
(و يحدق فيها هنيهة ثم يقول بجدية شديدة)
لي أهداف عليا يا روكسانا
و أنا من أجل الأهداف العليا تلك
قد أبني جسراً يعبره كل منا للآخر

روكسانا : تتلاعب بي ثانيةً يا قمبيز ؟

قمبيز : انتظري و لسوف ترين

روكسانا : فماذا تطلب مني ؟

قمبيز : لا أكثر من كلمة
قولي إنك لم تجترحي شرفي كي نبدأ

روكسانا : و تصدقني !

قمبيز : حتى لو أنت زعمت أمامي أنك عذراءً ما زلت

روكسانا : و تعيد إليَّ حقوقي ؟

قمبيز : و أضيف إليها ما شئت كنوزاً من ذهب و جواهر

روكسانا : ها أنت تعود إلى سخريتك و ألاعيبك

قمبيز : أقسم برفات أبينا
(فتنظر إليه بدهشة ثم تبتعد قليلاً و أخيراً تقول)

روكسانا : حسناً .. سأريحك يا قمبيز
(و تبتعد أكثر قائلة) طبعاً لم أزنِ

فهيا و انت بما عندك

قمبيز : شكراً لك يا أختاه

و الآن تعاليْ لأحدثك بما عندي

(و يتوجه إلى مائدة الخمر يعد لنفسه كأساً و لها مثله قائلاً)

قمبيز : قبيل مجيء مصر بجيشي في الشهر الماضي

و أنت هنالك ما زلت بفارس

(و بعد أن يعطيها كأسها يتوجه إلى الخارطة مستطرداً)

فيما بين الشام و سيناء

(**و محدداً بإصبعه**) في هذا الموضع بالضبط

قابلتُ يهودياً يضرب في التيه

كان عليلاً يحتضر بلا أمل يُرجى

فسقيتُ له من كأسي ماءً عذباً

من باب الإشفاق لوجه الرب

عندئذ قص عليَّ حكايته ــ رداً لجميلي ــ

مذهلةٌ كانت ، خارقةٌ للمألوف و للمعقول

غارقة في أعماق مظلمة ليس لها من سقف أو قاع

و تشير إلى أسرار لا يعرفها حتى كهان الفرس

روكسانا : **(مستثارة تجترع محتويات كأسها دفعة واحدة)**

و ماذا كانت قصته تلك ؟

قمبيز : تبدأ تلك القصة في معبد آمون بواحة سيوة

حيث اكتشف الإسرائيليُّ التاجرُ هذا

باباً سرياً يفضي للمقبرة الملكية

مقبرةٍ ، ما أن يُودع فيها جسدُ الملك المتوفى ....

حتى ...

روكسانا : **(تستحثه)** حتى ... ؟

قمبيز : **(بعد أن يلقي بمحتويات كأسه في حلقه)**

يتحول ذاك الجسم إلى ذهب خالص

روكسانا : ماذا ؟

قمبيز : **(مكملا)** و العينان إلى لؤلؤتين

روكسانا : أنت تخـــ...

قمبيز : **(مقاطعا مكملا)** و الشفتان تصيران عقيقا

و الأنف زبرجد

روكسانا : **(تهز رأسها كأنما تريد أن تفيق)** أي هراء هذا ؟!

قمبيز : ليس هراء

فلقد شاهد ذاك الإسرائيليُّ بعينيه الجثث الذهبية

روكسانا : و تصدق محتضراً يهذي ؟

قمبيز : فرضاً أني كذَّبتُ المحتضرَ الهاذي

كيف أكذب هذي ؟!

(يقولها مخرجا من جيبه لؤلؤة على هيئة عين بشرية

ما أن تراها روكسانا حتى تشهق و تترنح كمن سيغمى عليه)

روكسانا : يا هولي !

قمبيز : و الأغرب أن المقبرة السرية

حسب شهادة صاحبنا

لا تُفتح إلا لفقيدٍ متوفىً .. من عائلة ملكية

أما صاحبنا الإسرائيليّ التاجر

فلقد حضر مصادفةً ــ من سنوات ــ

ليلة دفن أمير شاب

فاختطف اللؤلؤة و فر بلا عودة

طبعا خاف من اللعنة أن تدركه لو وطئت قدماه المعبد ثانيةً

روكسانا : **(و هي تنتفض)** لست أخاف اللعنات ،

و لا أنت أظنك تخشاها

و لذا لا بد لنا أن نتوجه للمعبد هذا دون تراخ أو إرجاء

قمبيز : **(بصبر)** بلوغ المعبد ليس محالا

لكن ماذا عن ذاك الباب السريّ

روكسانا : إن أعجزنا الكشف عن الباب هدمنا المعبد

قمبيز : **(بهزء)** أين رجاحة عقلك يا أختاه ؟

فكرت إذا في الذهب و في اللؤلؤ و المرجان

و غفلت عن الأخطر فيما أنت سمعتِ !

روكسانا : تعني رد الفعل الغاضب من قبل المصريين ؟

قمبيز : هذه واحدة لا تهمل

أما الأخرى فهي الداهية الكبرى

روكسانا : تقصد ماذا ؟

قمبيز : **(مقربا وجهه من وجهها)** تلك الجثث الملكية....

روكسانا : ماذا عنها ؟

قمبيز : **(مقتربا أكثر هامسا)** لن يفتح هذا الباب السريّ

إلا لمليك أو

(و بتركيز خاص) لأمير.. جاء لينضم إليها في وادي الموت

(في الخارج برق يلمع و رعد يعصف)

روكسانا : **(و هي ترتعد)** قولك هذا بذرة شيطان يتخلق في أحشائي

قمبيز : سأبارك أي مخاض يلد لنا هذا الكنز المسحور

فَبِه سنحطم قرطاجة

آخر حصن في وجه الفرس

روكسانا : حطّمْ قرطاجة

و افتح كل المدن الشرقية و الغربية

لكن لا تفتح في عقلي منطقةً مظلمةً لم أرها من قبل

قمبيز : هي مظلمة حقا

مع هذا فالظلمة وجه للكون

و للنور الوجه الآخر

(يسطع برق خاطف ليكشف عن الراقصة النوبية مختبئة خلف ستار في العمق ، و قمبيز يكمل)

قمبيز : و خذيني مثلا حياً لنقيضين

فأنا حين سآتي أفعالاً يرتعد لها الناسُ العاديون

أمارس شراً

لكني أفعل هذا من أجل المصلحة العليا للدولة

و بهذا أنقلب إلى إنسان خَيِّر

(ينفجر الرعد)

روكسانا : **(كالمنومة)** لكن الخـــ...

قمبيز : **(مقاطعا)** لكن الخير الأعظم

يكمن في فض مغاليق السر الأعظم

روكسانا : **(كالمنومة ما زالت)** السر الأعظم ؟!

قمبيز : تحويل الجثث المنذورة للعفن إلى ذهب إبريز

ذلك ما لم يسطعه إلهٌ من آلهة الفرس

أما المصريون فقد فعلوها

كيف إذاً ؟! و بأية قدرة ؟!

هذا ما لا بد لنا أن نكشف عنه و...ســـ... نكشف عنه

حتى لو ضحينا بمبادئنا أو بذوي قربانا

روكسانا : **(بلهاث مرتعب)** أنت تخوض بنا بحر الأهوال المظلم

(يلمع البرق ثانية فترى الراقصة السمراء تراقب باهتمام شديد)

قمبيز : و القارب يا سيدتي موجود

روكسانا : بسماتيك ؟!

قمبيز : **(مفرقعا باصبعيه)** دون سواه

روكسانا : **(مستهولة)** لكنك أعطيت الرجل العهد بألا تؤذيه

كيف إذن تتخلص من عهدك

أو لا تخشى أن ُتحتقر و ُتنبذ ؟ **(يسمع الرعد عاليا)**

قمبيز : لا عهد لمن خفر العهد

و جلالته خان ضيافتنا بعد استسلام عساكره المرتزقة

فحق لنا أن نتحرر مما عاهدناه .. أليس كذلك ؟!

روكسانا : عما تتكلم يا قمبيز ؟

قمبيز : ثمة جارية شقراء ...

روكسانا : (**مقاطعة**) أعرفها.. جاسوستك المحترفة

قمبيز : مكثت تغري بسماتيك طوال الأسبوع الماضي

كي يهرب معها

و صباح غد سيكونان بقافلة تتجه إلى... سيوة

تلك هي الخطة

يومان.. و سوف تكون هناك

حينئذ نضبطه .. فاهمةٌ ؟!

و يداه ملوثتان بما ندعوه التدبير الإجراميّ بحق الدولة

روكسانا : (**متفهمة فجأة**) حينئذ يُقتل بالطبع

قمبيز : لا.. بل يُعدم بقرار شرعيّ جداً

تصدره محكمة يرأسها القاضي العادل جداً .

روكسانا : (**صائحة بفهم**) أخونا سامر !

قمبيز : (**مفرقعا باصبعيه**) دون سواه

روكسانا : (**وهي تفرك يديها**) حينئذ يُدفن بسماتيك بتلك المقبرة السرية

إذ تنفتح لجثمان ملكيّ حسب الطقس السري"

قمبيز : و بهذا نضمن ألا يشجبنا التاريخ

روكسانا : (**بفحيح**) امض إذاً و أنا معك بغير تردد

قمبيز : **(متنفسا بعمق)** الآن امتد الجسر ، فهيا نتعانق

روكسانا : **(و هي تبتعد مرتعدة)** ليس الليلة ... فأنا ...

قمبيز : ماذا !

روكسانا : ذُبح الديكُ الشهريٌّ على حِجري صبح اليوم

قمبيز : **(متنهدا بضيق)** لا بأس عليك

لياليِنا القادمة كثيرة

أما ما بقى بليلتنا هذي

فنُقَضّيه نياماً مثل جميع الناس

روكسانا : هذا لو كنا مثل جميع الناس

(و إذ يخرجان يلمع البرق و ترى فيه الراقصة السمراء وهـــي تخرج من مكمنها ، لحظة ثم ينفجر الرعد و تزأر العاصفة لتطفــئ الشموع و تسود الظلمة)

ستار

الفصل الثاني

المشهد الأول

الوقت : بعد يومين

المنظر : بهو متسع به أبواب متعددة ، في المنتصف منضدة مرمريـــة ، وراءها ثلاثة مقاعد من فضة ، و ثمة مقاعد مماثلة متناثرة هنـــا و هناك

تسمع أنغام حالمة خافتة ، و شعاعات تنساب من السقوف كأنـــها خيوط حريرية

ينفتح الباب الأيسر ليندفع منه بسماتيك يلهث بعنف و يده علـــى موضع قلبه ، وراءه تدخل الراقصة الســـمراء " تينا " تمشـــي الهوينى بنعومة و رشاقة ، فتبدو و كأنها تنتمي للمكـــان ، علـــى عكس بسماتيك الذي يبدو منزعجاً خائفاً.

بسماتيك : **(بأنفاس متقطعة)** أي مكان هذا ؟!

تينا : استرح الآن و سوف أجيبك فيما بعد

بسماتيك : **(مرتمياً على أحد المقاعد)** أشعر و كأن بصدري سكيناً
و كأن على ساقيَّ صخور ملتهبة
و كأن عروقي ...

تينا : **(مقاطعة)** الآن ستحصل يا مولاي على ما تتمنى

بسماتيك : **(لاهثاً)** ماذا ؟

تينا : راحتك الأبدية

بسماتيك : هذا تعبير العامة حين يشيرون إلى الموت

تينا : بل سوف تعيش إلى أبد الدهر هنا

بسماتيك : **(يتأملها و هو يلهث)** ما أغرب ما تبدين عليه
نعدو منذ الصبح بغير توقف
و على حين أكاد أموت بحشرجة الأنفاس
أراك بهيئة من قامت تتمطى من أحلى نوم
من أنت ؟!

تينا : أخبرتك باسمي أكثر من مرة
إسمي تينا

بسماتيك : ماذا يعني هذا الاسم ؟!
بل ماذا فيك التف بعقلي حتى صدقتك و أتيت وراءك ؟!

تينا : لا تشغل بالك بي و اجلس مرتاحاً

فلقد أبلغتك خير مكان تأمن فيه

بسماتيك : (**متأملاً المكان بدهشة**) تلك الرائحة العطرية

من أين تجيء ؟!

و نقاط الضوء المتلألئة المنسابة من أين ؟!

و حفيف أيضاً كالورق المتعانق بالأشجار

بينا لا توجد أشجار

و الأعجب أني كنت ظمئناً محترقاً

و الآن أحس بريٍ عذب يسري في بدني

أي مكان هذا ؟!

تينا : مكان تهرب فيه من الشيطانة صوفيا

بسماتيك : (**وهو يضرب كفاً بكف**) صوفيا جاسوسة ؟! و لقمبيز ؟

تينا : و فيم العجب لهذا ؟

بسماتيك : كانت تتحدث بعذاب صادق

حتى أني صدقت زمالتها لعذابي

تينا : معقول أن تحتمل التعذيب و لكن لحدود

بعدئذ سوف تبيع أباك و أمك

بسماتيك : لولا أني شاهدت بعينيَّ طلائع جيش الفرس

لظللت أكذِّب أقوالك عن صوفيا الملعونة

لكن ... كيف أصدق أن الشاه الغالب

دبر أمر فراري

كي يضبطني و يحاكمني في سيوة ؟!

(و ينهض واقفاً متحيراً)

و لماذا لم يقتلني في " منف " بلا تعقيد ؟!

تينا : أسلوب الشخص هو الشخص

فالسيد قمبيز يحاول أن يستند على الشرعية

لكن بأساليب تناقض ــ في باطنها ــ مبدأه الظاهر

و لهذا رتب لك أن تهرب

و بعون المرأة هذى تبلغ مضطراً واحة سيوة

و هنا يعتقلكَ ..

و يحاكمكَ ..

و .. يعدمكَ بحكم شرعيّ يصدر عن قاضٍ شرعيّ

و أخيراً تُدفن في هذا الوادي بالذات

بسماتيك : (**بتهكم**) و لماذا هذا الوادي بالذات ؟

تينا : ذلك ما سوف أوضحه لك تفصيلاً إذ ...

(و تتوقف لظهور شاب في عمق المسرح يخب في رداء ذهبي و على عينه اليسرى عصابة سوداء)

حابي : تينا ؟! عدت إذاً من عند الأحياء ؟

تينا : أهلاً بك يا حابي

حابي : (**وقد رأى بسماتيك**) و من السيد ؟

تينا : (**بتردد**) هو ... هو شخص لجأ إلينا كي نحميه

حابي : (**مذعوراً**) أيهودي آخر جاء ليقلع عيني الأخرى ؟!

تينا : لا يا حابي

هذا ليس يهوديا

بل مصريا من أخمص قدم فيه إلى شعر الرأس

بل هو أيضاً من لحمك و دمائك

هذا بسماتيك الثالث يا حابي الطيب

حابي : **(مجهشاً بالبكاء)** بسماتيك ؟! ابن شقيقي ؟!

قتلوه الفرس ؟!

تينا : كادوا

حابي : **(متوقفاً بدهشة)** كادوا ؟! ماذا تعني هذى الكلمة ؟!

تينا : تعني لغوياً فعل مقاربة موقوف

و خلاصته أن أخانا أفلت من فعل القتل

حابي : **(عائداً إلى البكاء)** مات إذاً حتف الأنف و ما زال صغيراً ؟!

(ويقترب منه يتفحصه) يا للمسكين

تقريباً هو في سني حين قضيت

تينا : لكن هو لم يقض النحب إلى هذى الساعة

حابي : ماذا ؟!

تينا : صاحبنا حي يا حابي

حابي : **(ينظر إلى بسماتيك بذهول)** حيّ ؟!

تينا : و أنا جئت به حتى لا يعدمه قمبيز الغازي

حابي : تأتين بإنسان حيّ يسعى في وادينا الآمن ؟!

كيف جرؤت على تلك الفعلة ؟!

تينا : اسمعني يا حابي أرجوك فهذا وضع إستثنائي خاص

حابي : كُفّي .. كُفّي يا هذى المرأة

(و ضارباً كفاً بكف)

ذلك ما كانت أسرتنا تخشاه و تتحرج منه

إدخالك في أسرتنا كان بلا شك خطأً لن يصلحه الدهر

فزواجك من جدي جلب إلينا الكارثة وراء الأخرى

تينا : (**متنمرة فجأة**) أتسميني كارثة يا هذا ؟!

حابي : أوَ لست كذلك بالفعل ؟

تينا : (**منفجرة**) بل لا توجد كارثة أكثر منكم

أنتم يا أصحاب التيجان الموروثة

يا من لا تحترمون سوى من يملك مالاً أو جاهاً أو سلطة

يا من تحتقرون الشعب و تستلبون الفقراء

(وبسماتيك يحدق فيها مذهولاً في حين ينتفض حابي بغضب)

حابي : هيا .. هيا .. انكشفي يا فلاحة سيوة

و لتظهر واضحةً أحقادُ السوقة و الدهماء

تينا : (**صارخة**) من منكم دس لي السم لأقضي قبل زفافي ؟!

حابي : (**باحتقار**) يا لكِ من صرصور نشأ على أفكار البالوعات !

طبعاً لا يستغرب من أمثالك أن يتهموا الأشراف بكل نقيصة

تينا : (**باحتقار مماثل**) ردد يا برغوث كلام حماتي

ليت جهنم مثواها !

حابي : (**بفجيعة**) ماذا ؟! ماذا قلت عن الأم الملكة ؟!

تينا : (**بتحد**) دعوت الرب ليجحمها .. ماذا في ذلك ؟!

شحنتكم ضدي فشحنتم
و حتى موتي في ريعان شبابي لم يغفر لي عندكمو يا أوغاد
(و تهجم عليه تريد خنقه فيتراجع هو مذعورا و هو يردد)

حابي : متوحشة مجنونة
لابد أبلّغ قاضينا الأكبر خوفو عن فعلتك الشنعاء
(و إذ يخرج حابي منفعلا يهب بسماتيك واقفا)

بسماتيك : أتريدين لعقلي أن يهرب من رأسي ؟!
أي كلام قلت ؟ و أي كلام قال الأعور هذا ؟
و فيم تشاجرتِ و إياه ؟!
و من قاضيكم خوفو ذاك ؟!
أ حوار مجانين يدور على قارعة المنطق ؟!

تينا : (**بصبر**) منذ تبعتك في قافلة الجاسوسة
و أنا أتحين بعض الفرص لأشرح لك ما لا تعرفه يا بسماتيك
و الآن أقص عليك القصة كاملة فالوقت لدينا ممتد

بسماتيك : فلنبدأ بالرجل الأعور هذا المدعو ..... إيه ؟!

تينا : حابي

بسماتيك : من ذا ؟ و ماذا قلت له عني ؟
قلتِ له إني ابن أخيه
كيف ؟! و في أية دار للعزل العقليّ تقابلنا ؟!

تينا : في ظني أنك كنت صغيراً
حين استوفى حابي الأجل المحدود

بسماتيك : **(متحيراً)** فعلاً كان لدينا في أسرتنا شاب يدعى حابي
لكن مات
كان برحلة صيد

تينا : **(مقاطعة مكملة)** في سيوة

بسماتيك : ذلك ما نحن سمعناه صغاراً
لكن عمي هذا مات و دفنوه ....

تينا : **(مقاطعة)** و ما أدراك بهذى الحادثة المشئومة ؟
(و شاعراً بخوف مفاجئ) من أنت ؟

تينا : اجلس و أنا سأجيب سؤالك

بسماتيك : و لماذا أجلس ؟
يجلس يا سيدتي من يرغب في تحصيل الراحة
و أنا منذ عرفتك أدمنت الإرهاق
(و يقترب منها متأملاً) انتظري و ابقي ساكنةً لحظة
هذا الوجه أليف عندي
ما لم تختلط الذاكرة بما مر عليَّ من الأرزاء
(و مقترباً أكثر)
نفس السمرة ، نفس الأنف ، و نفس الشفتين
و نفس الأعوام العشرين
و هذا القد المرسوم على
(و كأنه يسألها) شرفة قصر العائلة بمنف ؟!

تينا : طبعاً ، فأنا تينا زوجة جدك

بسماتيك الأول

بسماتيك : **أي هراء هذا ؟!**

ليس غريباً أن يتشابه وجهان و جسمان

و قد يتشابه حتى الاسمان و لكن هذا لا يعني ...

تينا : **(مقاطعة بصوت ثاقب) لا تجعلني أندم**

فأنا جازفت لأجلك ــ رغم فسادك ــ فافهمني

بسماتيك : **(مقاطعاً في غيظ)** جازفت بماذا ؟! و لماذا

تينا : جازفت بإغضاب ملوك الوادي إذ أدخلتك حياً ما زلت

بسماتيك : يا سيدتي ...

تينا : **(مكملة)** و لظني أنك سوف تعيد إليَّ حقوقي

بسماتيك : أي حقوق

تينا : أن تعترفوا بي كأميرة

بسماتيك : **(بتهكم)** رغم وفاتك !

تينا : **(بهياج)** سأظل إلى يوم الدينونة أطلب حقي

بسماتيك : **(مسايراً)** حسناً يا سيدتي

ما دام اللقب سيرضي نفسك تلك التعسة

فأنا أمنحك الآن المطلوب ..

أنت ... أميرة

تينا : و زوجة جدك

بسماتيك : **(بمساومة)** صعب يا تينا

بين الجد المذكور وبينك أعوام مائة يا أختاه

تينا : بل عشرون فحسب

فأنا لولا مت ، لكنت الآن بسن السبعين

بسماتيك : (بائساً) عدنا للهذيان !

تينا : **(تتمشى مستدعية الذكريات)**

حين قضيت و أُبْلِغَ هذا النبأ إلى منف

حضر الفرعون إلينا كالإعصار الباكي

ركع بجانب جثماني الثلجيّ المتخشب

و نعاني بأنين أبكى حتى الطير و وحش الصحراء

عندئذ رقت لمدامعه أفئدة الكهنة

فأتوا باب المقبرة السريّ

يصلون ويبتهلون

و هنا حدثت معجزة لا تتكرر

فلقد فُتِحَ البابُ لواحدة من أبناء الشعب

و بهذا دخلتُ فلاحة سيوةَ

هذا الوادي الملكيّ

وادي الأموات الأحياء

بسماتيك : (ساخراً) و وجودك منذ شهور في قصري

كيف يعلل ؟

تينا : أحياناً يرسل أوزيريس إليكم أفراداً منا

كي يأتوه بأنباء الأحياء

و منذ شهور أوفدني لمتابعة وقائع غزو الفرس لوادي النيل

لكن حراسك ألقوا القبض عليّ و حبسوني وقتاً

و أخيراً جعلوني راقصة عندك

و ظللت كذلك حتى انتصر عليكم قمبيز

و الباقي تعرفه .. لا داعي للتكرار

(و تجلس على مقعد واضعة ساقاً على ساق ، بينما يحدق فيها بسماتيك بدهشة)

بسماتيك : لا يمكن لامرأة أن تخترع وقائع

متماسكة مثل العقد إلى هذى الدرجة

إلا لو كانت بارعة ذات خيال فطري جبار

و أنا أعترف بأنك أبرع من قابلت

تينا : **(تهب واقفة)** مازلت تكذبني ؟! أكفور أنت بدين البعث ؟!

بسماتيك : بعث الموتى مسألة دينية

يعني يحدث في الآخرة و ليس هنا في دنيانا

تينا : **(تقترب منه)** لا يَفْرق بين الدنيا و الآخرة زمان يا جاهل

فهما مثل الصحو و مثل النوم قرينان

بسماتيك : **(مبتعداً في ذعر)** لا تقتربي

تينا : **(ضاحكة في سرور)** خوفك هذا مني ما معناه ؟!

أنك بت تصدق

بسماتيك : **(متحيراً)** تقفين أمامي كالأسطورة

لكن الأسطورة ليست مما يدرك بالعقل

أو هي في أحسن تقدير لابد يُشك بصحتها

لكنَّ شواهد ليلتنا هذى

تجعلني أتشكك في شكي

[من العمق يتقدم ثلاثة رجال و سيدة في أردية ذهبية ، وراءهم حابي و أما بسماتيك فيقترب ــ خائفاً ــ من تينا كأنما يحتمي بها]

حابي : **ها هي ذي يا مولانا خوفو**

تينا الغادرة الخارجة على القانون

(و ثلاثة من القادمين يتخذون أماكنهم خلف المنضدة المرمرية ، أما الرابع فيجلس بعيداً نوعاً)

بسماتيك : **(هامساً لتينا)** أهذا خوفو باني الهرم الكبر ؟

تينا : **(مثله)** صح

بسماتيك : و المرأة ذات اللحية و الرجلان ؟

تينا : حتشبسوت و أخناتون و تيتي

بسماتيك : **(همساً بمحاولة أخيرة للتعقل)**

أنتم مثل الإغريق تحبون التمثيل ؟!

تينا : **(هامسة)** ما تشهده ليس له صلة بالتمثيل

بسماتيك : **(هامساً بذعر)** لا يمكن أن ....

حابي : **(صائحاً فيهما)** صمتاً يا هذان

فالمحكمة انعقدت لمحاكمة المتهمة تينا

يرأسها قاضينا خوفو الأكبر

و يعاونه الملك الشاعر أخناتون

و .. الملكة حتشبسوت

(ينهض القادم الرابع متقدماً من تينا)

الرجل : طبعاً تعرفني السيدة المتهمة

تينا : طبعاً .. أنت الملك المحبوب من الشعب .. تيتي

تيتي : جئت أدافع عنك فهل عندك مانع ؟

تينا : إطلاقاً يا مولاي و لكن تفاصيل الأحداث برحلة سيوة ...

تيتي : **(مقاطعاً)** أعرفها فأنا كنت وراءك أمشي مخفياً

خوفو : يا تينا .. للعضوين المحترمين سؤالان كبيران

و على ضوء إجابتك إذا كانت صادقةً

أصدر حكمي إما باستمرارك معنا أو .. طردك

(و مشيراً إلى حتشبسوت التي تنهض متوجهة إلى حيث تقف تينا)

حتشبسوت : هل ضغط عليك المدعو بسماتيك الثالث

لتقوديه إلينا ؟

تينا : لا فأنا المسئولة وحدي

وقفته الذاهلة أمام جلالتكم

تنبئ عن غفلته بالتأكيد

حتشبسوت : حسنا .. و الآن إليك سؤالي

أنت خرجت إلى الدنيا لمهام حددها أوزيريس

(و **بقسوة**) لكنك غلّبت العاطفة الرعناء تجاه حفيدك

فأتيت به من عالمه للوادي

كي يهرب من موت محتوم

(و تزداد قسوة) هل يصلح هذا في رأيك

أم يهدم ما شيده أوزير نظاماً للكون ؟

تينا : **(مرتبكة)** إني ...

تيتي : **(مقاطعاً)** من حق المتهمة أن تلتزم الصمت

و تترك لمحاميها الفرصة ليدافع عنها

(فتحدجه حتشبسوت بنظرة لائمة ثم تعود إلى مقعدها)

خوفو : **(لتيتي)** تفضل

تيتي : **(و هو يقف)** إن أذن جناب القاضي

لي مسألة عند زميلي أخناتون

خوفو : تفضل

تيتي : **(مشيراً إلى بسماتيك)** أوَ لم يهزم هذا الرجل أمام الغازي قمبيز

أخناتون : **(باستخفاف)** و ماذا في ذلك ؟

أية حرب فيها منتصر و كذلك فيها مهزوم

تيتي : فلماذا ليس يحاسب في رأيك ؟

أخناتون : **(بتهوين)** كم من ملك هزم بمصر و حوسب ؟

تيتي : يعني لن تسعى لإدانته كي يطرد ؟

أخناتون : و لماذا يطرد ؟

هذا رجل محظوظ جاء إلينا دون تعمد

فليبق إذاً رمزاً لتسامحنا

تيتي : لكنك سوف تحاسب تينا الفلاحة

أخناتون : طبعاً فهي المسئولة عن تعطيل التاريخ
(و بتحد) تعليق آخر يا أخ ؟
تيتي : بل أرجأ تعليقي
إلى ما بعد سؤالك لموكلتي **(و يعود إلى الجلوس)**
بسماتيك : **(متململاً بشدة)** إني أرغب في ...
خوفو : **(مقاطعاً بصرامة)** اصمت يا هذا خيراً لك
أخناتون : **(مقترباً من تينا)** سؤالي يبدأ بالتركيز على شاه الفرس
فلقد جاء بفكر يُرسي في الأرض نظاماً كونياً
ليس به دول تتفاخر باستقلاليتها البلهاء
ثم تشن الحرب لتحمي ما تسميه مجالات الأمن القوميّ
ثم تشن حروباً أخرى لحماية أطراف مجالات الأمن القوميّ
و حروباً ثالثة لتشل الدول الأخرى متماثلة الأغراض
(ويتمشى ثانية في خشوع وتبتل)
لكن نظاماً كونياً يتعبد لإله واحد
إله يمطر خيراً من يده البيضاء
و يمثله في الأرض رئيس يسكن في بيت أبيض
يمكنه أن يصهر كل الأمم السوداء
و كل الأقوام الصفراء
و سائر ألوان الطيف
داخل بوتقة واحدة ذات بياض كونيّ
و بهذا .. تتحقق للجنس البشريّ ..

(و بأسى بالغ) الجنس المضطرب المتمزق ــ يا عيني ! ــ
وحدته الشامخة المرجوة
(و مقترباً بسرعة من تينا هاتفاً بها بلهجة المدعي العام)
فلماذا أنتِ سعيت لتخريب المشروع الهائل هذا ؟

تينا : إني لا أعرف شيئاً عن هذا المشروع

أخناتون : **(بغاية القسوة)** واعية أو غافلة سيان
فلقد كان من الممكن ألا يأتي بسماتيك المهزوم إلينا
لينال الأمن الشخصيّ
(بسماتيك يهم بالكلام لكنه يصمت لإشارة خوفو)
كان من الممكن أن ينتهز الفرصة
كي يحشد أنصاراً و يقاوم ذاك المحتل
في هذى الحالة
كان من الممكن أن يتأخر مشروع التوحيد الأعظم
أوَ ليس كذلك يا زنديقة ؟!
(صمت مطبق لا يقطعه إلا صوت خطوات أخناتون و هو يعــود خاشعاً إلى مقعده .
ثم ينهض تيتي)

تيتي : يعني .. أنت تطالب يا أخناتون
و أنتِ كذلك يا حتشبسوت
بطرد موكلتي من هذا الوادي ؟

أخناتون : طبعاً

حتشبسوت : (**بقسوة**) كي ينشب فيها الزمن أظافره فيراها الناس بسن السبعين

تيتي : و أنا أطلب أن .. تُمنح نيشانا

أخناتون : (**ساخراً**) نيشاناً ؟!

حتشبسوت : (**تقهقه برجولة**) عاميّ ينصر عامية !

أخناتون : (**بنعومة غاضبة**) أو قولي ضابط جيش

قلب نظام الحكم

و قفز إلى عرش الدولة

منحازاً للفلاحين و للعمال

تيتي : (**يغيظهما**) و كدت أكررها لولا استدعائي بأوامر أوزوريس

خوفو : (**صائحاً بهم**) لم نحضر كي نتشاجر يا حضرات

(**و لتيتي**) لماذا تطلب نيشاناً للمتهمة يا تيتي ؟

تيتي : (**بحماس و تدفق**) ذلك أن المتهمة حين اخترقت قانون الوادي

غَيّرتِ الوادي

أشعلت النار بأفئدة جمدها ثلج التكرار

ها أنا ذا أتمنى أن أضرب حتشبسوت على ردفيها

و حتشبسوت تفكر في تدبير مؤامرة ضدي

(**و لإخناتون**) أما أنت فأسقطت قناعك عن وجهك

فظهرت كمعتوه أبله

(**و بتدريس**)

توحيد العالم يا أحمق ليس يؤدي إلا لخراب الأرض

دع قمبيز يسود بهذا المشروع الكونيّ الأبيض فيما تزعم

و سيأتي يوم ينفجر الفقراء بثورات عارمة حمراء
ها أنت تبادلني النظراتِ الغاضبةً نصالا تتكسر فوق نصال
و هذا مطلوب جدا
فاسقط عنك قناع وداعتك المصطنعة
و اكشف مثل الإسرائيليين ــ تلاميذِك ــ عن أنيابك
و لعلك تأمر أتباعك بعد قليل أن يغتالوني ثانيةً .. مضبوط ؟!
(و ملتفتا بحدة إلى حابي)
هل تعرف ماذا حدث لعينك هذى المقلوعة ؟

حابي : **(بلهفة)** ماذا ؟! ماذا ؟!

تيتي : أعطاها ذاك الإسرائيليُّ المؤمنُ بعقيدة أخناتون لمن ؟
(و صائحاً) للسيد قمبيز
و السيد قمبيز انفتحت منه شهيَّته فأتاكم يا سكان الوادي
كي ينتزع الألسن منكم
و الأفواه
و يقلع كل الأعين

حابي : **(مرتعباً)** يا ربي !

حتشبسوت : هل يجرؤ ؟!

أخناتون : معقول هذا ؟!

تيتي : سيد ذاك البيت الأبيض يا أخناتون الحالم
لا يعقل إلا غايته .. الذهب الإبريز
(و متقدماً منه ينزع عنه رداءه بعنف)

و سينزع ثوبك هذا الذهبيّ
حتى تبقى عرياناً في برد الموت

أخناتون : (**بصوت متحشرج متوسل**) هات ردائي أرجوك

تيتي : (**يلقي إليه بالرداء**) هذا ما كان سيحدث لولا ...
لولا هذى السيدة المتهمة
فلقد هربت بالتافه بسماتيك
من كان سيُعدم قرباناً للمقبرة السرية أن تُفتح
و بهذا ضمنت لكمو الأمن
فاصدر حكمك يا خوفو لا تتحرج
و امنح هذى السيدة البطلة نيشاناً

خوفو : (**متردداً**) بل لابد أعود إلى أوزوريس

(و يهم بالقيام لكن بسماتيك يتقدم منه)

بسماتيك : اسمح لي يا مولاي بكلمة

خوفو : (**متضايقاً**) ماذا ؟! قلنا لن تطرد

تيتي : (**هازئاً**) طبعاً لن تطرد يا من ضيعت بلادك
فوجودك .. يضمن لهمو استقرار الأوضاع

خوفو : (**محذراً**) تيتي !

تيتي : للعبة حق أن تعرف من يستخدمها

بسماتيك : بلغت معرفتي اليوم الحد

(و مقترباً من المنصة بغير هيبة)

و لهذا أطلب أن أخرج فوراً

حتشبسوت : مجنون أنت ؟! تخرج كي تعدم ؟!

أخناتون : و تعود إلينا في تابوت يُدخِل قمبيز إلينا

بسماتيك : بل أخرج لأقاوم قمبيز و أطرده من مصر

تينا : و أنا معك بغير تردد

خوفو : أ قرارات تصدر من غيري ؟!

بسماتيك : إني أستخدم حقي الشرعيّ كإنسان حي

تيتي : لا يدهشني أن يتغير قلب المرء من الضد إلى الضد

خوفو : (**لبسماتيك**) يا أحمق .. أنت مُنحت الخلد بلا استحقاق
فاهتبل الفرصة لا تركل نعمة أجدادك

بسماتيك : (**بتصميم مقاطعاً**) إني أبحث عن نفسي لا عن أجدادي
و لهذا فأنا أتنازل عن تلك النعمة

تينا : (**لحابي**) و أنا أتنازل عن حقي في النسب إلى أسرتكم

حابي : من جانبنا سنقيم الأفراح لذلك

بسماتيك : (**لتينا**) لو كنت الآمر في هذا الوادي
لجعلتك فيه السيدة الأولى

تينا : يعني ستعود إلى الخارج

بسماتيك : لابد

تينا : (**مجهشة بالبكاء**) لتموت قتيلاً بسيوف الفرس !

(و يقترب منها بسماتيك يقبلها و يخرج مسرعاً مـــن البـــــاب الأيسر)

خوفو : لا تتركه يغادر يا تيتي

تيتي : و لماذا أفعل ؟ و لأية غاية ؟

خوفو : حتى لا يرتبك التاريخ الرسمي

تيتي : فليرتبك التاريخ الرسمي
ذلك ما أطلبه بالضبط

(و تينا تبدو مترددة بين البقاء و بين الخروج)

حتشبسوت : يا لك من وغد مجنون !

تيتي : **(و هو يفرك يده بارتياح)** أفضل من أنثى مسترجلة مثلك

أخناتون : لا تشتمها من تحسب نفسك ؟

تيتي : **(مستنفراً)** أحسبني رجلاً حراً
لا يخضع لفلاسفة الجبر المرتعدين الجبناء

أخناتون : **(باشمئزاز)** فلاح زنديق ملحد

تيتي : فرج أمك

حتشبسوت : **(مصعوقة من هول الكلمة)** ماذا قلت ؟!

أخناتون : **(هاجماً على تيتي)** سأمزق وجهك تمزيقاً

تيتي : **(و هو يكبله و يخنقه)** و بهذا تبدو رجلاً مكتملاً لا خنثى

(و أخيراً تحسم تينا أمرها فتمضي و لكن من باب غير الذي جاءت منه بينما خوفو يرفع يديه في يأس صائحاً)

خوفو :صارت محكمتي مهزلة بين الأحياء و بين الأموات

أخناتون : **(مستغيثاً)** النجدة !

إظلام مفاجئ

المشهد الثاني

المنظر : **البهو الرئيسي في معبد آمون**

و المكان يشبه ــ إلى حد كبير ــ البهو الداخلي إلا أن المنضدة فيه خشبية و كذلك المقاعد ، و ليس به أنغام و لا شعاعات ضوء و إنما مشاعل معلقة على الجدران ، و لا يوجد به إلا باب واحد في أقصى اليمين .

يلاحظ على المنضدة مطرقة و أوراق بردى و دواة للحبر و أقلام من البوص ، يدخل قمبيز و روكسانا

قمبيز : في هذا الموضع ضبطوه صباح اليوم

روكسانا : لست أصدق

فالقاعة ليس لها إلا هذا الباب

و الحراس يحيطون المعبد منذ أتينا

قمبيز : لا يوجد إلا تفسير واحد

فإذا صح فنحن أمام الهدف مباشرةً

روكسانا : (**مرتعدة**) تعني أن ...

قمبيز : أعني أن الباب السريّ هنا

روكسانا : كان إذاً مختبئاً بالداخل ؟!

قمبيز : أو قولي .. من أين أتى ؟

روكسانا : كيف و أنت القائل إن الباب السريّ

لا يفتح إلا لاستقبال المتوفين الملكيين ؟

قمبيز : إني مثلك لا أعرف تعليلاً معقولاً

لكن السر سيكشف بعد قليل

أعني حين يُحاكم بسماتيك و يعدم

حمداً للرب فقد جنبنا ما كنا نخشاه

روكسانا : و ماذا كنا نخشى ؟

قمبيز : أن نضطر إلى دفن ابن أبينا عوضاً عن بسماتيك الفار

روكسانا : (**بهلع مصطنع**) أوَ كنت تفكر في هذا يا قمبيز ؟!

قمبيز : (**هادئاً**) لا تتغابي يا روكسانا

نحن تكاشفنا في منف

و يقيني أنك كنت موافقةً أن نفعلها

فيما لو أفلت منا بسماتيك

و إلا فلماذا جئنا معنا بابن السيدة العربية هذا ؟!

روكسانا : بل جئت به أنت

ذلك تدبيرك مذ أرسلت إليه

كي يأتيك على عجل من شاطئ دجلة

يا لك من شرير يُفزع حتى العقرب و الأفعى !

قمبيز : العقرب كانت صفتي عندك منذ صباي

فمن الأفعى يا روكسانا ؟

مع ذلك لن نضطر معاً لأداء الفعل المرعب هذا

فلسوف يحاكمُ سامرُ بسماتيك

و سيُصدر طبعاً حكم الإعدام

و حين ينفذ هذا الحكم سنأتي بالجثمان إلى هذى القاعة

عندئذ ينفتح الباب السريّ فندخل نحن

لننهل من كنز المصريين بغير توقف

و كذلك نتعلم منهم كيف ندبر أحوال الكون

أحياءً كنا أو أمواتاً

هيا نجلس فالقوم أتوا

(يدخل كروسو و خلفه ضباط قمبيز يتقدمهم تنور و عـاصف و زرد فيتخذون أماكنهم على المقاعد الخشبية)

زرد : أخيراً سوف يُحاكم بسماتيك و يعدم

ما رأيك فيما يحدث يا عاصف ؟

عاصف : **(باشمئزاز)** نحن نضيع وقتاً في ألعاب لا أفهم معناها

تنور : أنت محق

اليوم يُعين سامر ــ هذا المدنيُّ ــ بمنصب قاض

ليحاكم بسماتيك عدو الفرس

و غداً ــ من يدري ــ قد نبصر واحدنا متهماً في محكمته

زرد : أنظر .. ها هو ذا بسماتيك يئن من القيد برسغيه

تنور : أوَ كنت تريد له أن يدخل فوق سرير من سندس ؟!

(و حارس بسماتيك يدفعه بغلظة ليقف على يسار المنضـــدة ، لحظات و ينادي الحاجب عند الباب)

الحاجب : القاضي سامرديس المحترم ابن الشاه الأعظم قورش

(فيقف الجميع باحترام بما فيهم قمبيز و روكسانا بينما يتقــدم سامر متخذاً مكانه خلــف المنضـــدة مشـــيراً إلــى الجمــع بالجلــوس . و كروسو يتقدم من المنصة قائلاً)

كروسو : عينني الشاه مليك الفرس

لأقيم الدعوى ضد الخائن بسماتيك

سامر : **(يستوقفه بإشارة ثم هاتفاً بالحارس)**

يا هذا .. حل عن المتهم القيد

(همهمـــة في القاعة يوقفها سامر بضربة من المطرقة علـــى النضد)

في هذى القاعة ..

المتهم بريء حتى يَثْبُتَ للمحكمة العكس

من ثَمَّ فليس لهذى القاعة أن تشهد قيداً

يوضع في الأيدي أو يوضع فوق الأفواه

(الحارس يفك الحبل عن يدي بسماتيك)

كروسو : هل أبدأ يا مولاي مرافعتي ؟

سامر : بل تنتظر قليلاً حتى نحسم أمراً

قد يبدو شكلياً

لكن جلال العدل يراه عظيماً

روكسانا : **(هامسة لقمبيز)** ماذا يقصد ؟

قمبيز : **(هامساً لها)** لا أدري .. هو سيد هذى القاعة دون نزاع

سامر : أثناء مجيئي

لاحظتُ أهالي الواحة بالخارج

يمنعهم حراسُ الملك عن القاعة

كيف إذاً يصدر عنا حكم شرعيّ

يشهده جمع الفرس و لا يشهده أهل المتهم المصريون ؟

تنور : **(لعاصف بسخط)** أيساوي بين الفرس و بين المصريين ؟

عاصف : **(مفكراً)** في رأيي .. ذاك هو العدل

روكسانا : ما قولك يا قمبيز ؟

قمبيز : لو عارضتُ أنا لاشك سيستعفي

و بهذا نضطر إلى قتل الفرعون بلا تبرير

روكسانا : فلنقتله بلا تبرير ، ماذا في ذلك ؟

قمبيز : نخسر سمعتنا بين الأمم و نوصف بالظلم

(و مشيراً إلى الحاجب)

أدخلْ يا هذا كل الناس ليرضى عنا القاضي

زرد : تلك محاكمة ليست عادية

(يقتحم جمع من الأهالي بينهم تينا بادية الإنـــهاك و الحـــاجب يصيح بهم)

الحاجب : لا يتكلم أحد منكم أو يهمس حتى ... مفهوم ؟

سامر : **(يدق بالمطرقة قائلاً للحاجب)**

لا تتكلم أنت بلا إذن مني .. مفهوم ؟!

الحاجب : مفهوم يا مولاي

سامر : فليبدأْ نائبُ أحكام الدولة

تينا : **(بصوت ثاقب من وقفتها بين الجمع)**

ذاك إذاً عدلُ الفرس ؟!

(فيلتفت إليها قمبيز و جماعته مندهشين)

من ذي ؟

زرد : **(باستغراب)** تشبه تينا الراقصة السمراء

تنور : لا لا .. الأخرى كانت أصغر بكثير

سامر : **(منادياً)** اقتربي يا هذى المرأة

ماذا قلت ؟

تينا : **(خارجة عن الصفوف)** سألتك هل هذا عدل الفرس ؟

سامر : أ رأيت بوادر ظلم فيما يُجري ؟

تينا : طبعاً .. ما دام لديكم نائب أحكام

فلماذا لم يندب للمتهم محام بالمثل ؟

(همهمات استغراب و ضيق من جانب الفرس)

زرد : **(هامساً بتأكيد)** هي تينا

تنور : لا .. الأخرى كانت في سن العشرين و هذى كهلة

(دقات بالمطرقة توقف الهمهمات)

سامر : **(لتينا)** آتينا بمحام و المحكمة ستقبله فوراً

تينا : أنا

(**همهمات استحسان من جانب الأهالي**)

زرد : (**هامساً بشدة**) أقسم هي تينا

كدت أضاجعها لولا أن ركلتني في الخصية

سامر : حسناً .. ما اسمك ؟

تينا : إسمي ؟! .. إسمي تيتي

تنور : (**هاتفاً بانتصار**) أ رأيت ؟

زرد : تكذب لا شك

سامر : و الآن كروسو يتكلم

كروسو : إني أتهم الفرعون السابق هذا بممارسة العنف

فلقد حاربنا حين أتينا و تسبب في مقتل ضباط و جنود منا

تينا : (**بصوت ثاقب**) هل كنت تريد له أن يلقاكم بالأحضان ؟!

(**المصريون يضحكون**)

سامر : (**وهو يكتب**)ُتشطب هذى التهمة

فسلاح ضد سلاح ليس جريمة

كروسو : (**بعد تردد**) أما تهمته الأعظم فخيانته للعهد

فلقد عاهد مولانا قمبيز مقابل ألا يُقتل

أن يسكن في دار لا يبرحها في منف

لكن سيادته فر من الدار و منف و جاء إلى سيوة

(**وصائحاً**) و لماذا جاء إلى سيوة ؟!

طبعاً كي يحشد أنصاراً جدداً

كي يجعل أبناء الشعب المصريّ الطيب

أعداءً للفرس الأخيار
فتقوم مذابح بين الطرفين
و لهذا أطلب ــ تحقيقاً للسلم الدائم ــ
الحكم بإعدام المجرم هذا

(الفرس يصفقون بارتياح و تينا تتقدم من المنصة)

تينا : دفاعي يا مولانا القاضي يتمثل في تجربة عملية
لكن قبلاً .. ائذن لي أن أستدعي شاهد نفي

سامر : من ؟!

تينا : الشاهنشاه قمبيز

(صيحات احتجاج و استنكار من جانب الفرس)

سامر : هو موجود فسليه كما شئت

تينا : (**لقمبيز**) جئتم مصر غزاةً فلماذا ؟

قمبيز : و لماذا لا نأتي ؟!
لو كان لمصر جيوش أقوى لغزتنا

تينا : إني أحترم نزاهة هذا الرد
(الفرس يهمهمون بارتياح)
فالقوة فلسفة لك بالطبع
و ليس على الآخر إلا الإذعان

قمبيز : لكنَّا لا نؤذي طفلاً أو شيخاً
أو نمنع أحداً من أسباب الرزق
و كذلك لا نقتل أسرى أو جرحى

و دليلي .. هذا المتهم يحاكم في محكمة قانونية

تينا : لكنك تسعى في فرض عقائدك على الآخر بالإجبار

قمبيز : لا بالإجبار و لكن بالـ ...

تينا : **(تستحثه)** بالـ ... ماذا ؟

قمبيز : ما دام المرء مجوسياً حقاً

فعليه الدعوةُ لعقيدته السمحاء

تينا : و نفس الحق لباقي الناس ؟

قمبيز : طبعاً لا

فعلى الناس جميعاً أن يقتنعوا بعقيدتنا الحقة

تينا : فإذا لم يقتنعوا تقتلهم ؟

قمبيز : يكفيني منهم دفع الجزية دون عناد أجوف

تينا : **(لسامر)** ها هو ذا يتسلل بالإجبار من النافذة الخلفية

فماذا يفعل فقراء الناس و هم بالطبع بلا مال ؟!

سيقولون صدقتم

لكن بالأفواه فحسب

فإذا صاروا يوماً أقوى تحت شروط أخرى

لاندفعوا مثلي نحو الملكة في هذى التجربة العملية

(تقول ذلك و هي تستل سكيناً من ثوبها تندفع بها إلى روكسانا
تقيدها بيد و تضع السكين على رقبتها بالأخرى
يتحرك الفرس و كذلك الأهالي إلا أن تينا تصرخ و هي تســـحب
روكسانا ناحية المنصة)

تينا : اقتربوا مني و لسوف تموت الملكة

سامر : **(و هو يسجل بالبوصة كلمات في أوراق البردي)**

أ محاولة للتأثير على المحكمة بحد السكين ؟!

(تينا تفلت روكسانا و تتجه إلى المنصة)

تينا : هي سكين للمطبخ

فهي تقشر بصلاً و طماطم

لكن لا تصلح للقتل

سامر : فيم إذاً كانت هذى التمثيلية ؟

تينا : كي أثبت أن القوة شيء

أما العدل فشيء آخر

سامر : فلماذا هرب المتهم من القصر ؟

تينا : لم يهرب بل هُرِّب تنفيذاً لمؤامرة دبرها الــ...

قمبيز : **(واقفاً مقاطعاً في غضب)** كفانا هذياناً و لتصدر حكمك أياً كان

سامر : **(برزانة)** في هذى القاعة

لا يتلقى القاضي أمراً حتى لو كان الآمرُ رأسَ الدولة

تينا : إني أطلب تسوية أعقدها و زميلي نائب أحكام الفرس

(كروسو ينظر إلى قمبيز و الأخير يومئ له بالموافقة و ســامر يلحظ ذلك فيسجل بسرعة بالبوصة ثم يقول)

سامر : المحكمة أنيرت بالنظرات و باللفتات

و الآن إلى الحكم

(و يقرأ من الأوراق) للدولة .. أن تقتل .. هذا المتهم الماثل

(الفرس يهللون فيما عدا عاصف بينما يتجمد الأهالي)

سامر : **(مكملاً القراءة)** فيما .. لو ضُبط و في يده سلاح في المستقبل

أما الآن فهذا المتهم بريء مما نسب إليه

و يُخلى في الحال سبيله

(ويجمع أوراقه خارجاً دون أن ينظر لأحد و الأهالي يهللون بجنون هاجمين على بسماتيك يحملونه على الأعناق خارجين به بينما يهتف هو فزعاً)

بسماتيك : هيا يا تينا .. ما لك واقفة كالتمثال ؟

(أما هي فيتقوس ظهرها و تبدو في قمة الإعياء ، هنيهة و ترتمي على أحد المقاعد و هي تسعل بشدة .

و روكسانا تقترب منها تحدق فيها متأملة بشماتة)

روكسانا : ماذا بك يا خاطفتي ؟!

أنقذت المتهم و أوقعت بنفسك ؟!

زرد : **(مقترباً بدهشة)** لا يمكن .. ليست تينا تأكيداً

تنور : تلك المرأة صارت مثل عجوز في السبعين !

تينا : **(بصوت مرتعش واهن)** هذا سني بالضبط و لا مهرب

زرد : **(محتاراً جداً)** إني لا أفهم هذى المرأة

روكسانا : بالنسبة لي فأنا أفهمها

هي شيطان أو جارية تحترف السحر

عاصف : **(بتأثر)** بل هو مرض طارئ

تنور : اخرس يا عاصف هل أنت طبيب ؟!

مثلك لا يفهم إلا في أحوال الحرب

قمبيز : **(وما زال جالساً واجماً)** خذها يا عاصف للسجن الحربي

عاصف : (بدهشة) و هل أحضرنا معنا سجناً في هذى الرحلة يا شاه

ليس لدينا إلا بعض خيام للنوم

قمبيز : **(صائحاً)** خذها حيث تشاء و خلصني

روكسانا : **(بهدوء)** احبسها في مرحاضي

زرد : في هذا المرحاض حبسنا المرأة صوفيا بعد التعذيب

و أنا مسئول عنها ثمة

روكسانا : **(بصرامة)** نفذ يا عاصف

فأنا أحتاج لأن تخرأ تلك الفاجرتين على وجه الأخرى

(فيخرج عاصف ساحباً تينا من يدهـــا ، وراءه يخـــرج زرد و سائر الفرس صامتين)

قمبيز : **(لروكسانا)** أ رأيت أخاك القاضي الـــ .. شاعر دون قصيدة ؟!

روكسانا : **(ساخرة)** أوَ لم تطلب منه مراعاة العدل ؟!

قمبيز : **(و هو ينـهض)** لست ألوم سوى نفسي

فلقد سايرت الأحمق هذا

فأقام عدالته العمياء بلا تقدير لحسابات الدولة

و بهذا أفلت منا بسماتيك

روكسانا : يمكن أن تأمر ضباطك أن ...

قمبيز : **(مقاطعاً)** سبق السيف العذل

هذى الواحة رغم وضوح الصحراء حواليها

خُلِقَت لتكون مخابئ سرية

(و يتمشى و هو يقضم أظافره)

يبدو أن القدر اختار ضحيته للدفن

روكسانا : **(بهدوء مريب)** تعني سامر ؟!

قمبيز : **(مبرراً بانفعال)** أخطأ قاض فسلخناه بفارس

روكسانا : **(بهدوء أشد)** ذلك حكم القانون هناك .. و هنا أيضاً

قمبيز : **(محدقاً فيها مندهشاً)** يعني أنت موافقةٌ ؟!

روكسانا : مذ كنا في منف

قمبيز : فلماذا استنكرت كلامي قبل الجلسة ؟!

روكسانا : علمتك يوماً ألا تكشف عضوك حين تضاجع عذراء

قمبيز : **(منفجراً بالضحك)** و يا لك من عذراءَ بحق .. أفعى عذراء

روكسانا : و لسوف أعلمك الليلة كيف يكون اللدغ

و كيف يكون الزحف بلا آثار تتركها خلفك

(و تمد له يدها فيمسك بها بعد تردد ثم يخرجان)

ستار

الفصل الثالث

المشهد الأول

الوقت : مساء نفس اليوم

المكان : مسكن عمدة سيوة و قد أخلى ليحتله قمبيز و روكسانا . و المسكن عبارة عن طابقين يربط بينهما سلم من الخشب . لا يبدو من الطابق الأعلى غير جانب من شرفته . أما الأرضي فالجزء الظاهر منه يمثل صالة بها بعض الوسائد و المقاعد الخشبية ، يفصلها عن المرحاض عن يسار المنظر باب رُكّب عليه من الخارج مزلاج ضخم ، و ينير الصالة شمعدان وحيد.

في المرحاض ـ الذي يتسلل إليه ضوء الصالة شحيحاً ـ ترى " صوفيا " شعثاء الشعر غبراء ممزقة و آثار دماء على وجهها ، تجلس مكومة ترتجف في ركن بعيد بجوار صفيحة ماء و كوز مقلوب .

لحظات و يدخل الضابط زرد ساحباً تينا من رقبتها قائلاً لعاصف الذي جاء وراءه

زرد : تلك المرأة من شأني بمجرد أن عبرتُ هذا الباب
(و رافعاً مزلاج الباب دافعاً بتينا إلى الداخل)
هيا . ذاك مكانك يا ملعونة

عاصف : **(بسخرية)** صنعتم مزلاجاً لمكان الراحة ؟!

زرد : **(وهو يعيد الإغلاق)** أوامر روكسانا

عاصف : و أنت رضيت بدور السجان ؟!

زرد : أوامر قمبيز

عاصف : يا لفجورك أنت و تلك الشرموطة

زرد : ماذا تعني ؟

عاصف : هل تحسبني أعمى يا زرد ؟
أقسم أنك كنت عشيق الملكة في فارس
و أنك ضحيت بحارسك الشاب لتنجو من قمبيز

زرد : **(ضاحكاً)** تتمتع بخيال لا حد له !

عاصف : و اليوم تعيدان الكَرَّة دون حياء
طبعاً دفعت روكسانا قمبيز إلى الدور الأعلى
كي يخلو لكما هذا الدَوْرُ الأرضيّ
فإذا شعر الأحمق بكما سهل عليك الإفلات سريعاً
(و باشمئزاز) أ لهذا اختارت روكسانا دار العمدة ؟!
كي تصبح وكر بغاء رسميّ لكما ؟!

زرد : **(ضاحكاً)** وَصَفَك تتورٌ بأنك لا تفهم إلا في الحرب
لكنك تنزلق رويداً نحو التفكير المدنيّ

عاصف : **(متجهماً)** اسمع يا زرد
أنت صديقي لا زلتَ و لستُ افرط فيك
و لهذا سوف أحدثك حديث الصدق لآخر مرة
فهلا جئت معي نتجول في الخارج حول الدار قليلاً

زرد : **(محذراً)** حول الدار و لا أبعد
(و إذا يخرجـان تبدأ تينا في البكاء بصـوت مكتـوم فتـهتف صوفيا)

صوفيا : امرأة أنت ؟! **(فترة صمت لا يقطعها إلا نشيج تينا)**
إيــــه .. ما لك صامتة مثل القبر ؟
نحن هنا في عَرَصات جهنم
لكن لا مانع من أن نتسامر
(وتمد يدها تتحسس إلى أن تمسك بالكوز فتمـــلأه مـــاء مـــن الصفيحة و تشرب)
بماذا أذنبتِ ؟!
تعاليْ و اقتربي مني لأجفف دمعك
طول حياتي لم أَحْنُ على أحد لكن سأجرب معك اليوم
و لمعلوماتك إني لا أعترف بمن يتذمر أو يشكو
فتعاليْ نتحادث في بحبوحة عقلين رشيدين
و لنبدأ بسؤال يستخدمه الغرباء لكي لا يبقوا غرباء
من أنت ؟
(في هذه اللحظة تدخل روكسانا قائلة لقمبيز القادم معها)

روكسانا : اصعد و أنا سأجيئك بعد قليل

(فيصعد الرجل الســلم بينما تتوجه هي نحو بــاب المرحــاض تتســمع)

صوفيا : هيا و انفتحي بعض الشيء على صاحبتك

لابد لنا أن نتكلم أو سنجن جنوناً

منذ دخلت تغوصين بأعماق الدمع كأنك حجر يتصدع

(و صارخة) قولي من أنت

تينا : **(باكية)** إني امرأة هاجمها مرض الشيخوخة في ساعات معدودة

روكسانا : **(من خارج الباب)** فعلاً يا صوفيا هي تبدو في سن السبعين

لكن هي ذات المرأة من كانت سبباً في محنتك الحالية

صوفيا : **(متسمعة بتوتر)** ماذا ؟!

روكسانا : هي من هرَّبت الفرعون السابق من بين يديك

هي من سرقت منك مكافأتك

أعني تحريرك من قيد الرق بوعد من قمبيز

فخذي ثأرك منها بطريقتك الخاصة

(و تنسحب روكسانا صاعدة السلم إلى الطابق الأعلــى ، فــي حين تهب صوفيا كالنمرة الجريحة تنشب مخالبها في الــهواء و هي تزمجر) .

صوفيا : أنت ؟! يا للأفراح الإغريقية !

تعالي في أحضاني فالشوق إليك قديم في قلبي

(و تتقـدم فاردةً ذراعيها باحثة عن غريمتها لكنـــها تصطـدم بالحائط)

تينا : **(بذهول)** صرتِ كفيفة ؟!

صوفيا : **(تقهقه)** و أنت عجوزاً أصبحتِ كما قالت روكسانا ؟!

تينا : سملوا عينيك ؟!

صوفيا : **(بفحيح)** لكي أتلذذ بكرابيج الظلمات

ما أجملها حين تفرقع فوق الظهر و بين النهدين و تحت السرة

كوني واثقة من قولي

و لعلك تكتشفين سريعاً أن الظلمة خير من ألف جماع

فتعالي أمنحك جواز مرورك للمملكة المنذورة للمحظوظين

تينا : **(متجنبة إياها بصعوبة الشيخوخة)** ابتعدي عني

صوفيا : تبغين فراراً من صوفيا التعسة ؟

لكن لا سأنالك يعني سأنالك

(و بتلمظ) و سأجعل كل أظافري العشر سكاكين

تمزق عينيك الخابيتين لكي ينطفئا بالكامل

و سأفعل هذا لا عن بغض بل عن حب و تعاطف

(و بإغراء) فتعالي نفعلها كي نتوحد في الظلمات

فأنا حين أعض على ثدييك المنكمشين

أرد إليك صباك الهارب

تينا : **(و هي تهرب لاهثة)** أنت امرأة مجنونة

صوفيا : **(بتأن)** مجنونة ؟ لا .. بل إني يا سيدتي

أعقل من كل فلاسفة التاريخ السابق و اللاحق
فأنا مثلاً أدركت حقيقة أن البشر جميعاً عميان
ففيم الحاجة للأعين بينا هذا الكون ظلامٍ فوق
ظلام من تحت ظلام ؟!
و يقولون الفلسفة هي القافلة الباحثة عن الحكمة !
(و صائحة بطرب)
ها هي ذي الحكمة يا صاحبتي عمياءُ سجينةٌ مرحاض
أتشمين الرائحة العطرة ؟
أم أن الشيخوخة عندك أودت بأحاسيس الشم ؟!
(و كأنها تعلمها) هي رائحة الإنسان
و تلك حقيقته دون رياء أو تزويق
فتعاليّ مثلي نتدارس و نحلل تلك الرائحة المبروكة
لكن ليس قبيل دخولك في ظلماتٍ
أحرى بالشيخ الفاني أن يدخلها
ماذا ؟! أتعودين إلي الفر؟!
مع أنك لا تقوين على تحريك القدمين !
لا لا . إني أحتقر الشيخ المّعْرِضَ عن طلب العلم الكليّ
بل و أسميه التلميذ الخائب
و أطارده في كل مكان لأعلمه الدرس الأول .

تينا : **(تخبط على الباب بجنون)** النجدة !

صوفيا : **(هاجمة عليها)** أنت هنا بجوار الباب

(و إذ تمسك بها تجاهد الأخرى لتفلت و فجأة يســـمع صــوت عظم يطقطق لتجأر تينا بصراخ ألم رهيب .

في نفس الوقت ترى روكسانا تهبط الســلم مســرعة و خلفــها قمبيز بملابس النوم صائحاً من الشرفة)

قمبيز : ماذا يجري في هذا البيت الملعون ؟!

روكسانا : **(و هي تهبط)** اذهب أنت إلى النوم و دعني أتصرف

تينا : **(و هي تعوي ألماً)** ذراعي كسرت . صارت تتدلى مثل الخرقة

(و روكسانا وصلت إلى باب المرحاض فوقفت تتسمع)

صوفيا : مع ذلك أفلّتِ بمعجزة لن تتكرر

فأنا سأنالك أقسم بحياتي و حياتك

(وبلهجة شريرة) في يوم أو يومين ..

ثلاثة أيام بالأكثر تنهار مقاومتك للنوم

عندئذ أعرف أين تكونين من الأنفاس المتحشرجة القلقة

و هنا ....

(روكسانا ترفع المزلاج و تفتح الباب فتندفع تينـــا خارجــة و روكسانا تعيد الإغلاق بسرعة بينما تصيح صوفيا بالداخل)

صوفيا : من خطف امرأتي من بين ذراعيّ ؟!

روكسانا : **(لتينا)** ما بال ذراعك ؟! هل كسرته المجنونة ؟!

تينا : **(و هي تبكي)** أرجوك . أقبل قدميك أغيثيني

روكسانا : و طبعاً لست تريدين العودة ثانية للداخل !

لا بأس ، و لكن لي شرط **(و صوفيا تقترب من الباب تصغي)**

تينا : **(تهوي على يدها تلثمها)** أقبّله أقبله

روكسانا : أنت رشوتِ القاضي سامر بالأمس

قدمت له جوهرتين مقابل تبرئة الفرعون المصريّ

تينا : **(باكية بشدة)** أقسم لم يحدث

روكسانا : **(مقاطعة)** أعرف هذا يا حمقاء

تينا : فلماذا ....

روكسانا : **(مقاطعة)** دون " لماذا " سوف تقولين " حدث "

تينا : أقول لمن ؟!

روكسانا : لقضاة الشاه الضباط

تينا : و ماذا سيكون مصيري ؟

روكسانا : أمنحك الحرية فور الإدلاء بأقوالك

صوفيا : **(هامسة في الداخل)** نفس الشَّرك ونفس الصيد

و هذا يعني أنك ستعودين إليّ فما أسعدني

روكسانا : **(لتينا)** أم أنك تحبين العودة للمرحاض ؟

تينا : **(بفزع)** لا لا . سأقول رشوتُ القاضي

بل و رشوت إلهي آمون إذا أحببت أقول

روكسانا : **(منادية)** يا زرد تعال

زرد : **(داخلاً)** أمرك يا ....مولاتي

روكسانا : يُعتقل القاضي سامر في التو

و يُعرض صبح غد في محكمة العسكر

متهماً بقبول الرشوة من هذى المرأة

تينا : ذراعي تتمزق ألماً

روكسانا : سيجبّرها زرد و لكن حين يعود
(ومشيرة إلى الوسائد) و لسوف تنامين هنا حتى الصبح

صوفيا : **(هامسة من الداخل)** ثم تعودين إليّ قبل الظهر
(فتسقط تينا مغشياً عليها)

زرد : ماتت

روكسانا : بل غُيّب عنها الوعيُ فحسب
هيا نفذ ما آمرتك

زرد : **(محتجاً)** في هذه الآونة علاقتنا صارت ...

روكسانا : ماذا ؟!

زرد : محض أوامر منك و تنفيذ مني دون مقابل

روكسانا : تلك الأيام عصيبة
فاصبر حتى نجد الفرصة

زرد : لا مانع ، لكني أطلب " تصبيرة "

روكسانا : فتعال إلى هذا الركن و خذها

صوفيا : **(و هي تنصت للحديث من الداخل)** يا بنت الزانية القذرة !

[و إذ تنسحب روكسانا و زرد إلى ركن قصـــي يخبــو ضــوء الشمعدان و تزحف الظلمة .. ثم ....]

إظلام تام

المشهد الثاني

الوقت : **صباح اليوم التالي ، و غبار كثيف يملأ الأجواء تحمله رياح تنز أزيزاً مخيفاً ، نفس المكان و تينا راقدة على الوسائد ملفوفة الذراع**

و في الصالة ترى صوفيا تدق على الباب من داخل المرحاض و هي تصيح بأعلى صوت

صوفيا : ثلاثة أيام دون طعام ؟!

و غبار ملعون أيضاً يملأ حلقي ؟!

لا أطلب إلا كسرة خبز تُرمى للكلب الأجرب

أعطوني كسرة خبز أرجوكم يا أنذال

(تنهض تينا من رقدتها لتتحرك ببطء محنية الظهر مقتربة من الباب الفاصل)

صوفيا : آذاني تعرف تلك الخطوات المتثاقلة التعبة

(**وصائحة**) أنت زميلة حبسي ليلة أمس .. أليس كذلك ؟

تينا : (**بصوت مرتعش**) هو ذاك

صوفيا : (**بسرور**) يعني لا زلتُ أميّزُ رغم عماي

تينا : يؤلمني أنك جائعة لكن ماذا أفعل ؟

صوفيا : يا بلهاء أنا لا أصرخ من جوع

بل لأكدر صفو النوم على قمبيز الغافل

و العاهرة القذرة روكسانا

قولي لي .. هل جبروا كَسْر ذراعك ؟

تينا : **(متأوهة)** جبروه

صوفيا : **(بتدامع)** رحماءُ تسيل الإنسانيةُ من أطراف أصابعهم !

(ثم بجدية) لكن بعد أدائك لشهادتك الزور

سيعيدونك للمرحاض

كي نستكمل ما نحن بدأناه من الحرب الشرسة

تينا : **(وهي تسعل)** و لماذا لا نتصادق ؟

صوفيا : **(تقهقه ساخرة)** نتصادق ؟! يا لك من خرقاءَ عجوز !

تينا : هذا بيت العمدة

أعرفه شبراً شبراً

(و هامسة لها من خلف الباب) يعني في إمكاني تهريبك

فوراء السلم هذا سرداب سريّ يفضي للخارج

موافقة يا صوفيا ؟

صوفيا : **(بسخرية)** حين أصدق أن عدواً يسعى في إنقاذ عدو

تينا : **(و هي تسعل)** لست عدوتك بحق

بل نحن — برغم تصادمنا — في نفس الخندق

و ها أنا ذي أبدأ في تحريرك

(و ترفع المزلاج بيدها السليمة لتخرج صوفيا غير مصدقة)

صوفيا : ما دام الأمر كذلك فلنسرع قبل حضور السفلة

(و تينا تعيد المــزلاج و تقودها محنية الظهر إلـــى مـــا وراء السلم)

تينا : هذا باب السرداب فهيا انطلقي

و ضعي طرفاً من مئزرك على أنفك

صوفيا : **(بدهشة)** و أنت ؟!

تينا : لا أقدر

صوفيا : و لماذا ؟!

تينا : **(و هي تسعل بعنف)** تقف العاصفة أمامي مثل جدار صخريّ

و أنا تزداد الشيخوخة بي كل هنيهة

لم يبق أمامي كي أرحل عن هذى الدنيا

إلا بضع دقائق

صوفيا : **(مندهشة)** كيف أصابك هذا المرض الغامض فجأة ؟!

تينا : **(و هي تدفعها بوهن إلي السرداب)**

لا وقت لدينا كي نتسامر

صوفيا : وداعاً يا تينا

تينا : وداعاً يا صاحبتي

(و بينما هي عائدة تجرر قدميها الكليلتين يدخل زرد و تنــور و عاصف و بينهم سامر مقيداً)

عاصف : **(و هو يسعل)** أية عاصفة هذى تَنْهَلُ غباراً و سخيمة ؟!

زرد : **(و هو يسعل)** سأبلغ قمبيز بأنّا جئنا

تنور : **(يستوقفه و هو يسعل)** لا ..لا

تعلم أن الشاه يحب النوم إلى وقت الظهر

زرد : (**عائداً بأسف**) أمرك يا قائد

عاصف : (**و هو يجلس على مقعد**) فلنبق إذاً منتظرين إلى أن يصحو

تنور : (**بصرامة**) لست أرى رأيك يا عاصف
نحن هنا لنقيم محاكمةً في وقت الحرب
فلماذا نتمسك بالشكليات ؟

عاصف : (**ينهض مندهشاً**) يعني ماذا ؟!

تنور : يعني سوف نحاكم هذا المتهم الآن و فوراً

زرد : لكن لابد لنا أن ننتظر كبير العالم

تنور : (**بعناد**) و كبير العالم ماذا ينتظر من الضباط ؟
ينتظر السرعة في تنفيذ أوامره الحربية
أوَ لم تنقل أنت بنفسك لي رغبته تلك ؟

زرد : (**متحيراً**) حصل ولكن ....

تنور : (**مقاطعاً**) فاحجب عنا آراءك و اتركنا نبدأ
(و لتينا) يا أنتِ هناك

تينا : (**مستندة إلى الحائط**) آه !

تنور : أنت رشوتِ القاضي السابق هذا بالأمس
أليس كذلك ؟

تينا : (**تتأوه عاجزة عن النطق**) آه

تنور : (**لسامر الذي ينظر إليه ساخراً**) قالت آه
و تلك مصادَقَةٌ لن تنكرها

سامر : (**بسخرية كاملة**) آه

عاصف : (**يلقنه**) يعني تنكرها ؟!

تنور : اخرس يا عاصف

الشاهدة أقرت و المتهم اعترف و لم يتبجح

و لهذا .. و بإجماع الآراء ...

عاصف : (**مقاطعا**) دافع يا هذا عن نفسك

سامر : (**بتهكم الحكيم**) تلك محاكمة تجري في وقت الحرب

يعني لن يتمسك أحد منا بالشكليات

و الآن شقيقي الأكبر و شقيقتي الكبرى رأيا أن ...

أقف أمام المحكمة الهزلية هذى

كي أعدم دون جريرة

فأنا لا أملك إلا أن أعلن موت الشعر بهذا العالم

تنور : (**هادرا**) شعرك لا يعنينا حياً أو مَيْتا

و لهذا ... و بإجماع الآراء

(**عاصف يتململ فيحدجه تنور بنظرة صاعقة**) و بإجماع الآراء

أدانت تلك المحكمة القاضي السابق سامر ديس

لخيانته قانون الدولة

إذ قبل الرشوة من جارية من جنس الأعداء

و عقوبة هذا الفعل الإجرامي هو الإعدام بحد السيف

و الآن إلي تنفيذ الحكم أمام العسكر بالخارج

(و يخرجون كما جاءوا ، إلا أن زرد يتأخر ليدفع بتينـــا إلــى داخل المرحاض حيث تسقط مغشياً عليها ،
أما زرد . فيخرج بعد أن يضع المزلاج بالباب ...
هنيهة و يرى بسماتيك و على وجهه قناع صاعداً مـــن فتحـة السرداب خلف السلم قابضاً على يد صوفيا بيد و ممسكاً ســكيناً بالأخرى قريباً من رقبتها)

بسماتيك : **(هامساً)** ويل لك إن كنتِ تقودين خطايَ إلى فخ

صوفيا : **(هامسة)** معك السكين و عنقي رَهْنٌ و أنا عمياء

بسماتيك : فلماذا لست أراها ؟

صوفيا : لابد أعادوها للمرحاض

(فيمضـــي بسماتيك قابضاً على يد صوفيا مقتحماً الباب حيــث يرى تينا ملقاة على الأرض تتنفس بصعوبة و صــوفيا تتســمع نبضها بقــلق)

صوفيا : ما زالت تتنفس
عندك ماء في الجردل
رشرش منه على جبهتها و يديها

تينا : **(و قد فتحت عينيها)** أنت هنا يا بسماتيك ؟!

بسماتيك : أهلاً بك يا زوجة جدي

تينا : و أنت هنا أيضاً يا صوفيا ؟!

صوفيا : **(و هي تبصق التراب)** ذقتُ الحرية يا تينا

بضع دقائق دون قيود. كانت كافية لتغيرني

تينا : (**بوهن**) ذلك ما كنت أفكر فيه

صوفيا : و لهذا حين تناهت أصوات جماعة بسماتيك إلى سمعي

ناديت عليهم طالبةً ــ صادقةً و لأول مرة ــ

أن يدخل أحد منهم ليفك إسارك

تينا : طبعا فالحر يريد الناس جميعا أحرارا

صوفيا : لكن بسماتيك تشكك فيّ

فعرضتُ عليه مصاحبتي للداخل

فتشكك أكثر

بسماتيك : (**متعجلا**) كفي عن ثرثرتك يا هذى و لنرحل فوراً

صوفيا : (**و هي تجذبه إليها**) فهلا أعلنتَ الصفح عن المسكينة صوفيا ؟

بسماتيك : (**متخلصا منها بضيق**) سامحتك يا ستي .. هيا نخرج

صوفيا : (**برزانة**) أنت ستحمل تينا للخارج

أما بالنسبة لي .. فأنا سأظل بهذا المرحاض

بسماتيك : (**بدهشة**) تظلين بهذا المرحاض لماذا ؟!

صوفيا : كي تزداد أحاسيسي بالحرية

بسماتيك : ماذا تعنين بقولك هذا يا حمقاء ؟

صوفيا : لكل منا يا بسماتيك مهمته الصعبة

أنت تقاومهم من خارج

و أنا سأقاوم في الداخل

تينا : (**واهمة تماما**) أشعر بدبيب خَدِر يسري في كل كياني

صوفيا : خذها و اخرج يا بسماتيك و ضع مزلاج الباب كما كان

تينا : (**لبسماتيك بوهن شديد**) هل لو مت ستأخذني للمقبرة السرية؟

بسماتيك : بالطبع سأفعل هذا دون تردد

(**و لصوفيا**) و حين سأُبلّغ تينا مأمنها سأعود إليك

صوفيا : لا يا بسماتيك فقدري أن أبقى في هذا المرحاض

و لكن كامرأة حرة

ها أنذى أختار بنفسي

و بهذا أغدو فاعلةً لا مفعولاً به

و كذلك أنت اخترت لنفسك و لأهلك

فوُلدتَ الميلاد الثاني

بسماتيك جديداً

رجلاً يحمي الأرض بأبناء الأرض

و ليس بجند مرتزقة

و يحمي العرض

فلا يُسلِمهُم سيدةً ترقص عاريةً لهمو

هيا و امض سريعاً لمهمتك الصعبة

(فيقبلها بسماتيك ثم يحمل تينا المحتضرة خارجاً بها و مُعَلِّقــــاً المزلاج بالباب بينما تهمس صوفيا بحنان غير معهود فيها)

صوفيا : وداعاً يا صاحبتي

(و بعد أن تمر فترة تكون قد تأكدت فيها من مروق بســـــماتيك من السرداب ترفع عقيرتها بالصياح)

صوفيا : إنزل يا قمبيز .. إنزل يا ديوثَ العالم

(و إذ تكرر قولها عدة مرات يري قمبـــيز و خلفــه روكســـانا هابطين من الطابق الأعلى و في نفس الوقت يرى الضـــابط زرد عائدا من الخارج عبر الباب الرئيسي يسعل بشدة)

قمبيز : من يدعوني باللقب المقذع هذا ؟!

صوفيا : **(من داخل المرحاض)** إني من يدعوك به من هذا المرحاض
لأنك أولى الناس بأن تحمله يا أعمى القلب

قمبيز : **(لروكسانا)** ماذا تعني هذى الحشرة ؟!

روكسانا : دعنا منها فلقد جنت
إذ أكلتْ لحمَ زميلتها الشيطانة
(و لزرد) هل نفذتم أمر الشاه ؟

زرَدْ : بالحرف الواحد

روكسانا : **(بصرامة)** فأعدوا العدة كي يُدفن سامرٌ في معبد آمون
فهو أخونا بالدم برغم خيانته للدولة

صوفيا : **(من الداخل)** بل أنت الخائنة الأزلية
يا قاتلة الأخ و هاجرة فراش الزوج إلى أحضان عشيق فاجر
هل تسمعني يا قمبيز ؟!
عشيقٍ حجبتْ روكسانا عنك هُوِيَّته في فارس
و دعتك لتقتل شاباً مسكيناً بدلا منه

زرد : (متوثباً للدخول إليها) لابد لنا من قطع لسانك

صوفيا : فليأت إليَّ الأعمى قمبيز ليقطعه إن يقدر

قمبيز : (مزيحاً زرد و متقدماً يرفع مزلاج الباب)

و هل يعجزني شئ عن صرصور مثلك ؟!

صوفيا : (تواجهه بهدوء) هل تقتلني قبل الفحص ؟!

قمبيز : ماذا تعنين ؟

صوفيا : أدركت إذاً أنك أعمى مثل غبار الريح

يا هذا أين زميلة سجني في أركان المرحاض ؟!

قمبيز : (مبهوتاً) أين ؟!

صوفيا : سأجيبك لكن حين تعود لتفحص أكثر

خارج مرحاضي في الركن الأيسر يا قمبيز

سترى آثار عشيق امرأتك

و لعلك تسمع مثلي أصداء لهاث الأمس

بينا روكسانا تعمل بيديها

لتخلصه من ضغط الشهوة

(روكسانا تتبادل و زرد النظرات المذعورة)

زرد : (يكاد يبكي) هل يقبل مولاي شهادة كاذبة عمياء ؟

صوفيا : (هاتفة بانتصار) و لهذا تحديداً أخرجت المُبصرة قبيل الفجر

طبعاً كي تدفنها

فلقد كانت تصرخ قائلة .. شاهدتُ الزاني

(و تكرر بصخب) شاهدتُ الزاني من ثقب الباب يمر

زرد : أقسم أنك كاذبة شيطانة

(و لقمبيز بحرارة) لم يخرج غيري من هذى الدار طوال الليل

و الجند الحراس شهود يا مولاي

صوفيا : **(صارخة)** فأين تراها ذهبت ..

و المزلاج لديكم بالخارج ؟!

قمبيز : **(بحشرجة رهيبة)** هات جوابك يا زرد و أسْرِعْ

أو وَدِّعْ آخر أنفاسك في التو

زرد : **(متراجعاً مذعوراً)** تلك المرأة ــ نعرفها ساحرةً يا مولاي

فاستخدمت السحر لتهرب بالتأكيد

صوفيا : لو كانت ساحرة حقاً

كيف إذاً تركتني أكسر منها العظم ؟!

و الحراس شهود أنك جئت لها بجبيرة

هل تنكر هذا أيضاً يا زرد الزاني ؟!

(زرد لا يملك رداً و هنا يهجم عليه قمبيز يخنقه بيديه عاوياً كالذئب الجريح . في نفس اللحظة تهجم روكسانا على صوفيا تخنقها بعنف . و إذ يسقط زرد ميتاً و كذلك صوفيا ، يتواجه قمبيز و روكسانا لاهثين و نظرات الكراهية بينهما تتبارز كسيوف .)

تنور : **(داخلاً)** إجراءات التحنيط اكتملت يا شاه

و لم يبق سوى أن نمضي للدفن

(لكنه فجأة يرى الجثتين فيحـــدق في قمبيز و روكسانا بذهــول قائلاً)

تنور : ماذا يحدث في هذى الدار ؟!

روكسانا : **(متمالكة أعصابها)** نحن قتلنا هذين لكذبهما

و فيما بعد ستعرف كل التفصيلات

أما الآن فهيا ندفن يا قمبيزُ ابنّ أبينا

(و بلهجة ذات معنى) حسب الإجراء المتفق عليه

(فيتحرك قمبيز كالمنوم خارجاً معها . وراءهمـــا تنـــور غــير مصدق لما يراه ، حتى يخلو المكان إلا من الجثتيـــن و صـــوت العاصفة المشتدة و تكاثف الغبار)

المشهد الأخير

في بهو المعبد و الرياح تزأر بالخارج بعنف . و فجأة يفتح باب المقبرة بينما بسماتيك و معه شابان يحملــــون جثمـــان تينـــا و يدفعان به إلى الداخل . و يلاحظ أن الثلاثة يتمنطقون بســـــيوف في خصورهم .

بسماتيك : (**هاتفاً بفرح**) حمداً لك يا أوزير

أ رأيت المعجزة الكبرى يا راضي ؟!

أ رأيت المعجزة العظمى يا فادي ؟!

قَبِلَتْها الآلهةُ برغم قرار الطرد

فادي : (**لاهثاً**) ما أسعدنا يا مولاي !

راضي : (**بفخر**) للفلاحين مكان محفوظ عند الأرباب

بسماتيك : و الآن علينا إكمال مهمتنا

راضي : تعني ماذا يا مولاي

بسماتيك : أن نمنع قمبيز من السطو على هذا الوادي

فطبيعيٌ أن يستثمر دفن أخيه

ـــ و قد أعدمه منذ قليلٍ ـــ كي يدخل

فادي : (**بشمم**) و طبيعيٌ أن نمنعه بأظافرنا

راضي : و ماذا تفعل هذى الأسياف بأيدينا ؟!

بسماتيك : فلنتوار إذاً خلف الأعمدةِ هناك

راضي : (**و هو يمشي وراء الرجلين**)

سنقاتل و تقاتل معنا عاصفةُ الموسم

[لحظات و يدخل قمبيز و روكسانا و خلفهما جنديان يحمـــلان جثمان سامر ديس ، يضعانه أمام الباب و ينصرفـــان بإشـــارة روكسانا]

روكسانا : أحسنت أنا حين صرفت الضباط عن الدفن

ليس لأحد أن يدخل من هذا الباب سوانا

ما لك لا تتكلم ؟!

قمبيز : (**مغمغماً**) لا أدري إن كان الباب سيُفتح أم لا

روكسانا : بالطبع سيُفتح

أوَ ليس أخونا الميت هذا .. من أصل ملكيّ

قمبيز : (**بلهجة شريرة**) من يدري ؟!

روكسانا : ماذا تقصد ؟

قمبيز : (**و هو يحدجها بكراهية**) كل امرأة يمكنها ...

روكسانا : يمكنها ماذا ؟

قمبيز : أن تزني وقت تشاء

و تضاجع في نفس الآونة البعل الشرعيّ

ثم تجيء لهذا الأحمق بوليد شرعيّ بعد شهور الحمل الشرعية

روكسانا : (**صائحة بلهفة**) فإليك دليل أن امرأة أبيك العربية لم تزنِ

قمبيز : (**مشدوهاً**)ُ فتح الباب كما أنبئني الإسرائيليُّ التاجر

روكسانا : (**بلهفة مجنونة**) فلندخل فوراً يا قمبيز

(و هنـــا يقفز بسماتيك و معه الشـــابان و السيوف في أيديـــهم مشهرة)

بسماتيك : هذا الوادي لا يدخله غير الشرفاء فحسب

قمبيز : **(شاهرا سيفه)** جئت لحتفك يا بسماتيك

روكسانا : **(منادية بقوة)** يا حراس

(فيدخل الفارسيان مسرعين و تدور مبارزة عنيفة بين الرجـــال الستة و غبار العاصفة يحجب الرؤية رويدا رويدا ، في نفـــس الوقت تظهر تينا في ثياب ذهبية فتجذب جثمان سامر ديس إلـــى الداخل و هي تقول)

تينا : تعال أعوضك عن القتل بسببي

يا هذا القاضي العادل

(بعدها يغلق الباب ، و بسماتيك يسقط صريعاً بسيف قمبـــيز ، أما فادي و راضي فيكونان قد أجهزا على الحارسين و أســـرعا ليحيطا بسماتيك بجسديهما)

روكسانا : **(صائحة)** هيا يا قمبيز

أكملْ قَتْلَ الفرعون الملعون فينفتحِ الباب

بسماتيك : **(لفادي و راضي و هو يحتضر)** فرا بي

فتراب العاصفة سيمنعه من رؤيتنا

(فيحمله الشابان و يهربان به سريعاً بينما قمبيز يتخبط باحثاً عنهم بعيون مغلقة)

قمبيز : أين ذهبتم يا أولاد الأفعى ؟!
لست أرى شبراً بعد يديّ الخاويتين
اقتربي مني يا روكسانا

روكسانا : صرت أنا تقريباً عمياءَ فأين تكون ؟

قمبيز : هاك يدي فاتّبعي صوتي نتماسك

روكسانا : (**بلهاث متألم**) ها نحن تماسكنا بينا فر الأوغاد

قمبيز : يعني لن ندفن بسماتيك و لن ينفتح الباب

روكسانا : (**بيأس**) يعني ضاع الكنز علينا ؟!

قمبيز : (**بلهجة كارهة غامضة**) إلا أن يُدفن شخص من أصل ملكيّ

روكسانا : (**بلهاث مذعور**) ماذا تعني بكلامك هذا الشرير ؟!

قمبيز : (**من بين أسنانه**) أنت الأمل الباقي لدخولي من هذا الباب

روكسانا : (**تعوي كالعاصفة العاوية**) اتركني يا بن الزانية الملعونة

قمبيز : (**و هو يطعنها بسيفه**) أمي أمك يا قذرة

روكسانا : آه !

قمبيز : (**لاهثاً بقوة**) و الآن سينفتح الباب .. أليس كذلك ؟

روكسانا : (**و يدها على الجرح**) لا .. لن ينفتح الباب أيا قمبيز الجاهل
فأنا من صُلْبِ عشيقٍ لا من صُلب أبينا قورش
و لقد باحت أمي لي بالسر على فرش الموت .. لكي تتطهر
فحفظتُ أنا هذا السر طوال الوقت .. لكي أتملّك
خاب إذاً مسعاك و فألك
و انتصر عليك المصريون الموتى

انتصر عليك المصريون

(و تقهقـــه بشماتة برهة بعدها تسقــط ميتة بينما يقف قمبـــيز مبهوتاً)

ستار الختام